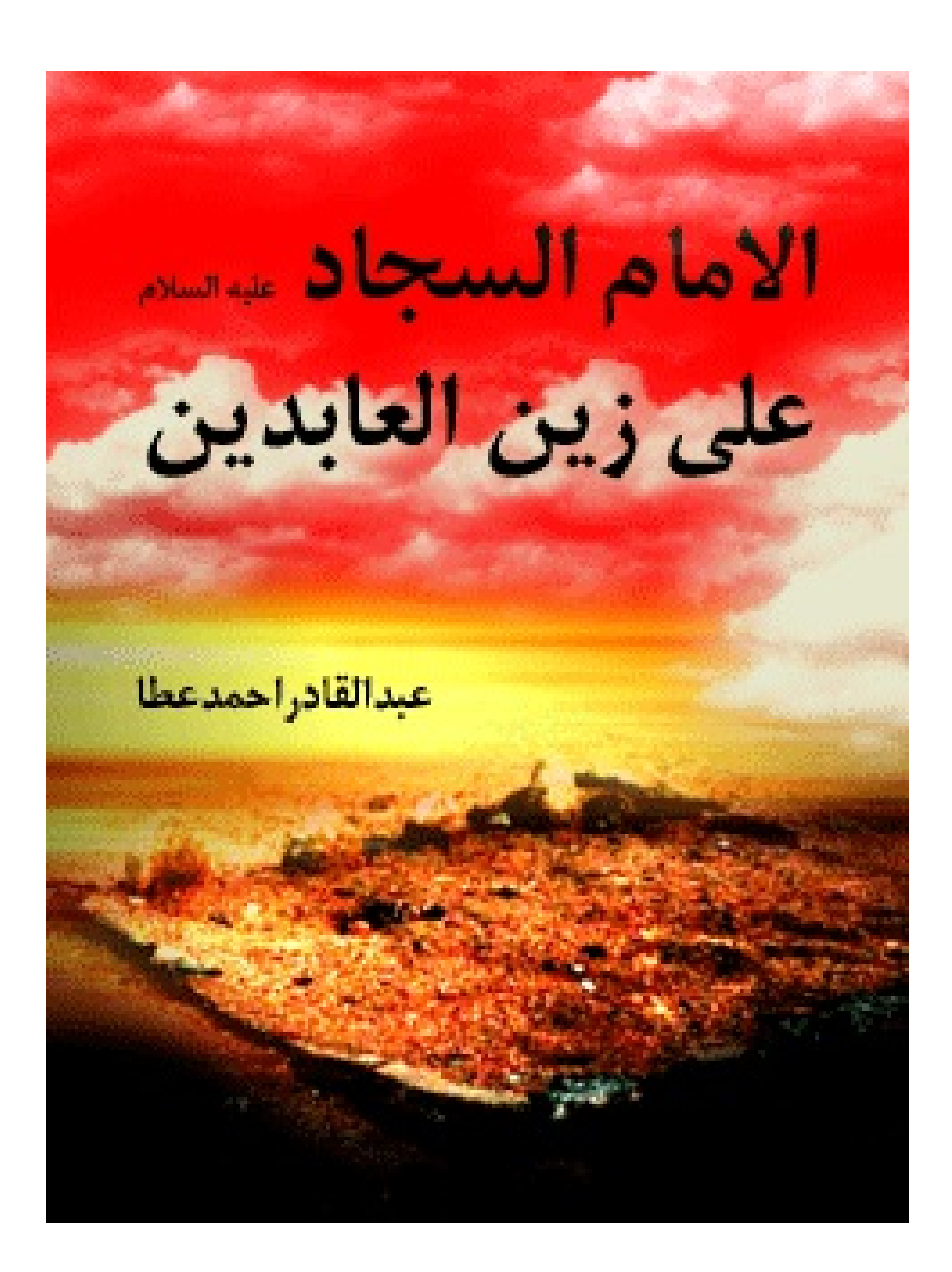

الامام السجاد عليه السلام
على زين العابدين
عبدالقادر احمد عطا


بسم الله الرحمن الرحیم

الامام السجاد علی زین العابدین (علیه السلام)

کاتب:

عبدالقادر احمد عطا

نشرت فی الطباعهٔ:

مجهول (بی جا ، بی نا)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الامام السجاد علی زین العابدین (علیه السلام)

اشاره

المؤلف: عبدالقادر أحمد عطا

طبع فی سنه: ۱۴۲۴ ق / ۲۰۰۴ م

الطبعه: الاولی

مدخل البحث

اشاره

لکی ندرک الوزن الحقیقی لشخصیه الامام السجاد علی زین العابدین بن الحسین بن علی بن أبی طالب رضی الله عنه، لابد من عرض و جیز لفکره التشیع و تطورها، و مدی انفعال الامام السجاد بها، و موقفه من تلک الفتنه العمیاء التی عمت کثیرا من أمصار الاسلام، و شملت مختلف وجوه النشاط الانسانی کلها، لأنه شخصیه معتبره من ثمرات تلک الحرکه العقیدیه و السیاسیه التی سیطرت و لا زالت تسیطر علی کثیر من البلدان و الثقافات. هو ثمره من ثمارها، ولکنه لیس ثمره مؤیده لما وصل الیه التشیع من غلو و خروج عن الواقع الی مستوی الأسطوره و الخرافه و التطرف الروحی الذی یعدو علی ظاهر الأحکام و القوانین العامه للاسلام، بل کان ثمره هادئه متعقله یحاول أن یعود بالمسلمین من الجماع الی الاعتدال، و من الغو الی التوسط، و من التطرف الروحی الی الخط الفاصل بین الماده و الروح، فلا یغرب فی الروحانیات حتی ینسی الواقع، و لا یفرق فی الماده حتی ینسی الروحیات.

اصل التشیع

أصله فی اللغه ما ذکره تقیروزابادی من أن «شیعه الرجل: أتباعه و أنصاره، و الفرقه علی حده، و یقع علی الواحد و الاثنین و الجمع، و المذکر و المؤنث، و قد غلب هذا الاسم علی کل من یتولی علیا و أهل بیته، حتی صار اسما خاصا لهم، و الجمع: أشیاع وشیع». فالشیعه هم: المؤمنون بحق علی رضی الله عنه فی الخلافه و الامامه، و فی تفضیله علی اخوانه من الصحابه، اما بالنص أو بالوصف، و فی اضفاء الحق الالهی علی الامام رضی الله عنه و علی حقوقه السیاسیه و الدینیه معا. و لقد کان للامام رضوان الله علیه منزله خاصه، فقد أسلم

صغيرا، و كان ختن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و ألصق الناس به، فتشرب روح الاسلام، و عاش ربيب النبوه الناهل من معينها، و كان خليفه النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى أهله، كما كان له من الصفات الجسديه و جرأه القلب، [صفحه ۶] و شجاعه النفس ما يؤله بحق لنوع من العظمه الظاهره و الباطنه قل أن نجده فى انسان، و رأس ما يكون شخصيته العظيمه علمه الواسع العميق حتى اشتهر بفقه المعضلات فقيل فيه: «قضيه و لا أباحسن لها». و كذلك فتوته و فروسيته الفائقه مع تركه الدنيا لأهلها، و هيامه بالمثل الأعلى حتى أجمعوا على أنه «لافتى الا على، و لا سيف الا ذوالفقار». أما بدايه التشيع فقد وقع الخلاف فيها بين مفكرى المسلمين. فهناك اجماع على أن الحقل العام الذى نبتت فيه الفكره يمتد من بدايه الاسلام الى ما بعد مقتل الامام مباشره. فمن قائل ان التشيع ظهر فى حياه النبى صلى الله عليه و آله و سلم، اذ كان لعلى آنذاک مريدون روجيون باعتباره لازم الرسول فى اوائل الدعوه، و عاصر الحركه الروحيه الهائله التى انبثقت مع الدعوه فى قلب النبى عليه الصلاه و السلام و من القائلين عدا أحمد أمين، و أما ابن خلدون فيرى فى كتابه «العبر» أن التشيع قد حدث بعد وفاه النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و من قائل يقول: ان التشيع قد ظهر مقابلا لحركه الخوراج، و ابن النديم يقول: انه ظهر حينما أطلق بنفسه هذا الاسم على جيشه الذى حارب به طلحه و الزبير. أما الدكتور طه حسين فيرى أنه نشأ بعد قتل الامام. و

على أى حال فالتشيع باعتباره مذهب روحيا كان معاصرا لحياه النبى صلى الله عليه و سلم، أما باعتباره مذهبا سياسيا فنحن نرى أنه نشأ مع ولايه الامام للخلافه، و ان كان لم يتسع و يتبلور الا بعد قتله. و ذلك لأ التشيع الروحى للامام كان واضحا فى سيره سلمان الفارسى، و أبى ذرالغفارى، و عمار بن ياسر، و المقداد بن الأسود، و كما يؤكد اليعقوبى قد تطور التشيع بأنه قد «تخلف عن بيعه أبى بكر قوم من المهاجرين و مالوا مع على بن أبى طالب، منهم: العباسى بن عبدالمطلب، و الفضل بن العباس، و الزبير بن العوام، و خالد بن سعيد، و المقداد بن الأسود، و سلمان، و أبوذر، و عمار، و البراء بن عازب، و أبى بن كعب».

بعد الامام

كان الامام قد لمس تدهور المثل الأعلى الاسلامى، و تحوله الى المصلحه الشخصيه فقال فى أسى و حسره كما جاء فى نهج البلاغه: «ألا و ان بليتكم قد عادت كهيئتها يوم بعث الله نبيكم». [صفحه ۷] و لا شك أن من كانوا حول الامام قد شعروا بآلامه و حسراته على تدهور معنوياتهم، و نماء مادياتهم، أو بمعنى أوضح على عدم التوافق بين قوتهم و جرأتهم و بين ما يهدفون اليه من تحقيق المثل الأعلى، و ذلك حين اندفعوا بتيار قوى الى التخازل، و كتاب نهج البلاغه ملى ء بما يصور ذلك الموقف الصعب الذى وقفه الامام من شيعته. و قتل الامام، وانتصر الطرف المقابل بزعامه معاويه انتصارا كاملا فى الحقل السياسى. و ازدادت حسره الشيعه بتنازل الامام الحسن عن الخلافه عام۴۱ ه حقنا للدماء، و ايثار الآن يتبنى آل البيت النبوى كل المثل الاسلاميه التى أسسها جدهم العظيم، و التى

توشک أن تهدد تحت وطأه الأهواء الصارخه، و الفتنه العاصفه. و فی نفس الوقت کان معاویه رضی الله عنه یؤسس ملکه علی خط معاکس، فکان کما یروی الطبری یأمر ولاته «ألا یجیزوا لأحد من شیعه علی و لا أهل بیته شهاده». کما أن «بحرمان من عرف بموالاه علی من العطاء، و اسقاطه من الدیوان و التنکیل به، و احراق داره» کما روی ابن أبی الحدید. و شاع لعن علی و أهل بیته علی المنابر فی صلوات الجمع علی رءوس الأشهاد، و کان الهدف من هذا العمل المجانب للصواب کما یقول ابن أبی الحدید «أن یربی علیه الصغیر، و یهرم علیه الکبیر، و لا یذکر له ذاکر فضلا». و نجح معاویه فی اقناع أهل الشام بأحقیه الامام باللعن، حتی لقد رفض أهل حران الکف عن لعن الامام حین أمرهم عمر بن عبدالعزیز بالکف عنه و قالوا: «لا صلاه الا بلعن أبی تراب». و کان الکثیرون یرون أن أباتراب هذا هو «لص من لصوص الفتن». و الحق أنه اسم أطلق النبی صلی الله علیه و سلم. کان معاویه یبذل جهدا کبیرا فی تشویه سیره الامام، حتی أنه أعطی «سمره بن جندب» نائب زیاد علی البصره أربعمائه ألف درهم لیروی للناس أن علیا هو المقصود بقوله تعالی: (و من الناس من یعجبک قوله فی الحیاه الدنیا و یشهد الله علی ما فی قلبه و هو ألد الخصام (۲۰۴) و اذا تولی سعی فی الأرض لیفسد فیها و یهلک الحرث و النسل و الله لا یحب الفساد (۲۰۵))[البقره، ۲۰۴، ۲۰۵]و أن قائل الامام هو المعنی بقوله تعالی: (و من الناس من یشری نفسه ابتغاء مرضات الله)[البقره:۲۰۷]. [صفحه ۸] و بدأ معاویه خطه الاضطهاد

فی العراق بقتـل حجر بن عـدی الکنـدی، و عمرو بن الحمق الخزاعی، باعبارهما من کبار أصـحاب الامام، و قتل معهما سـته من أعوان حجر و دفن أحـدهم حیـا، و هو عبـدالرحمن بن حسـان کما یقول المسـعودی فی مروج الـذهب. و کان هـذا العمل مثارا للفزع و القلق و الشائعات و الخرافات و الأساطیر فی جو الکوفه، و نسـجت أساطیر عجیبه حول میثم التمار، و رشـید الهجری بغیه تصویر الامام بصوره روحیه بحته، و نسبت الیه تنبؤات عن مقتل أصحابه، بل و تؤکد أن الامام لم یمت، و أنه أجز بأشیاء بعد ما ظن النـاس أنه مات، بینما کان کما روی الـذهبی فی تـذکره الحفاظ عن رشـید الهجری «یتنفس بنفس حی، و یعرق من الـدثار الثقیل». بل ان بعضـهم قال: ان کان بعـد موته «یلمع فی الظلام کما یلمع السـیف الصـقیل». و نحن لا نذهب بعیدا فی مسأله لعن الامام کما ذهب بعض أهل الغیره الشدیده اذ قالوا قول الدکتور کامل مصـطفی الشـیبی فی کتابه «الصـله بین التصوف و التشیع» ان لعن علی کان اسـتمرارا لرغبه دفینه فی لعن النبی نفسه باعتباره عـدو بنی أمیه الذی هدم أرسـتقراطیتهم الجاهلیه، و انما نقول: ان معاویه مازال مسـلما مخلصا للاسـلام، ولکنه لم یکن مؤمنا بمبدأ المساواه بین المسـلمین، بل کان یری أن أرستقراطیه العرب الجاهلیه المتمثله فی بنی أمیه یجب أن تتحول الی أرسـتقراطیه عربیه أمویه اسـلامیه. فکل تاریخه یشـیر الی حبه للارستقراطیه، و آیه ذلـک کله مـا کـان علیه حکمه من مباینه للمساواه بین الخلیفه و الشـعب الا فی صـدد السـمع و الطاعه حسب. هی رغبه فی الحکم، و شعور بالحق فیه، و هو جامح فی صبغ الخلافه بلون

من الأبهه و الارستقراطيه، و لا شـى ء غير ذلك أما الكفر الـدفين، و الرغبه فى هـدم الاسـلام فلا، و ألف لا، و فى حب الرئاسـه يكمن الداء، و يكمن اللدد و الخصومه و اراقه الدم، فهذا شى ء معروف غير منكور عند أولى الرأى، و فى مراجع التاريخ.

بعد الامام الحسين

خرج الامام الحسين استحابه لنداء ضميره أولا، و استنقاذا للاسلام الذى تتفلت مبادئه و مثله العليا يوما بعد يوم، ثم استجابه لنداء أهـل الكـوفه الـذين دعـوه للخروج معه، ولكن التخـاذل كـان قـد بلغ مـداه بأهـل الكوفه، فلم يسـتطيعوا أن يقـاوموا اعزاء المـال المبـذول، فقتـل الامام الحسـين، و قتل معه ولـده على الأكبر، و ثلاثه من أبناء الامام الحسن، [صـفحه ۹] و خمسه من اخـوته، و اثنـان من ولـد جعفر بن أبى طالب، و اثنان من أولاد عقيل بن أبى طالب و عـدد كبير من أعوانه و قتل داعيته بالكوفه مسـلم ابن عقيل، و الزعيم الكوفى هانى ء بن عروه، و لم يجـد من الكوفيين الا شـللا و خـذلانا كما يقول المسـعودى، و كما يؤكد أن كل من حاربه كانوا من أهل الكوفه، و لم يحضـره شامى واحـد. لم يفلت من آل بيت الحسـين سوى ولـده على زين العابـدين الذى كان مريضا و كاد عبيدالله بن زياد يقتله لولا ضعفه، فالحسينيون جميعا من ذريته، و حسن بن الحسن و له ذريه، و أخوه عمر و لا عقب له، و القـاسم بن عبـدالله بن جعفر، و محمـد بن عقيـل، كمـا يقول الـذهبى فى سـير الأعلام. و انخـذل الشـيعه مره أخرى، واضـطربت أحـوالهم بين المثـل الأعلى الـذى يتمنـونه، و القـوى النفسـيه و البـدنيه الـتى تخـونهم كلى حزب الأمر، فلجأوا الى الأسطوره يزيدون من محصولها،

و يعللون بها نفوسهم، و استغلوا الأحاديث الوارده فى فضل الحسين، وزادوا عليها من الأساطير شيئا كثيرا. فقد أورد الكلينى فى أصول الكافى عن جعفر الصادق أن قوله تعالى: (فنظر نظره فى النجوم (٨٨) فقال انى سقيم (٨٩))[الصافات:٨٨، ٨٩]ينصرف الى الحسين. فقد رآى ما يحل بالحسين فقال: انى سقيم. كما روى، أنه لما كان من أمر الحسين ما كان ضجت الملائكه الى الله بالبكاء و قالت: هكذا يفعل بالحسين صفيك و ابن نبيك؟ قال: فأقام لهم ظل القائم و قال: بهذا أنتقم لهذا. و القائم هو «المهدى» كما هو معلوم فى عرف الشيعه. و هكذا تنمو الأسطوره فى جو الهزيمه و الخذلان كما تنمو فى جو الجهل و الظلام العقلى تماما. ثم كانت حركه التوابين هى الصدى العملى الحزين لقتل الامام الحسين، و كان زعماؤهم خمسه هم: سليمان بن صرد الخزاعى، و المسيب بن نجبه الغزارى، و عبدالله بن سعيد بن نفيل الأزدى، و عبدالله بن وال التميمى، و رفاعه ابن شداد البجلى، و لم يكن هؤلاء التوابون يريدون شيئا سوى الانتحار فى ميدان الحرب تكفيرا عن تخاذلهم فى نصره الحسين، و كانوا يستندون فى حركتهم الى قوله تعالى: (فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم). وانضم اليهم جمع من أهل البصره و المدائن يرددون: (أقلنا ربنا تفريطنا فقد تبنا). و خرجوا دون قياده منظمه لمجرد التكفير عن الخطأ ببذل النفس، و لذلك لم يستطع المختار الثقفى أن يضم هؤلاء التوابين [صفحه ١٠] الى جيشه الذى كان يعده للخروج على الأمويين لأنهم يختلفون معه فى الهدف من الخروج. فى تلك الفتره من التاريخ خرج عبدالله بن الزبير، و أخذ البيعه لنفسه

بمكه، و حاضر محمد بن الحنفيه الذى يعتبر صديا فى نظر الشيعه، و كان حصاره فى نفس الشعب الذى حوصر فيه بنوهاشم فى أول ظهور الاسلام، و ظهر المختار بن عبيدالله الثقفى ثائرا على بنى أميه، و مطالبا بثأر الحسين، و دعا الى امامه محمد بن الحنفيه، ولكن محمد بن الحنفيه كان قد رأى اندفاع المسلمين وراء الانحراف العقيدى الى القول بتأليه الأئمه و الى أساطير أخرى لها بالغ الخطر على عقيده الاسلام، فنادى قائلا: «انا لله، ما ورثنا من رسول الله صلى الله عليه و سلم الا ما بين هدين اللوحين» يعنى القرآن. كانت حركه المختار تقترن بخرافات يروجها أنصاره، و يروى ابن حزم أنهم كانوا يقولون: ان الملائكه تنزل على صور الحمامات البيض لتنصرهم. كما نسب الى المختار نفسه دعوى النبوه، و القول بالبداء، أى: ان الله كان قد وعده بالنصر، ثم بداله تأجيله الى حين. و كما شاعت المهديه مقترنه بحياه محمد بن الحنفيه برزت فكره الرجعه، فلم ير أصحابه أنه قدمات، و انما أكدوا أنه يتحين الفرصه للظهور بالسيف باعتباره مهديا، و قد أجمع على ذلك الكثيرون من أصحاب كتب الفرق، و فيها السيد الحميرى شاعر الكيسانيه: لو غاب عنا عمر نوح أيقنت منا النفوس بأنه سيؤوب و هكذا انسحبت الرجعه و المهديه على غير ابن الحنفيه حتى شكلت نوعا من الاضطراب العقيدى خلط بين عقائد اليهود و المسيحيين و المسلمين فى صوره لا زال المسلمون الآن يحلمون بها. بعد ثلاثه عشر قرنا من ميلادها، كما تطورت فكره الرجعه المقترنه بالمهديه فأصبحت على أيدى الكيسانيه تشمل على بن أبى طالب نفسه، و انتهت الى قول «المجلس» بأن الله يحشر فى زمن القائم أو بعده جماعه

من المؤمنين لتقر أعينهم برؤيه أئمتهم، و جماعه من الكافرين و المخالفين للانتقام منهم، و هی أحلام اليقظه تعلل الفاشلين كما تعلل الأم طفلها الباكی بمجد و عطايا أسطوريه. و تلك أقوال لا نجد لها أصلا فی الاسلام الا عن طريق التأويل الفاسد الذی آمن به [صفحه ۱۱] مجتمع الشيعه من قبل و من بعد، حتی وصل بهم التأويل الی اخفاء الحقائق الشرعيه تحت ستار التأويل المعروف لديهم بالباطن. و هكذا اضطربت أحوال المسلمين، و غرتهم أفكار دخيله، و روجت السريه لأن يعتنق الكثيرون من العامه تلك الأفكار الدخيله، و تطورت تلك الأفكار، فيما بعد علی يد بيان بن سمعان، و المغيره بن سعيد البجلی، و أبی منصور العجلی، و أبی الخطاب الأسدی، و غيرهم الی الكفر الصريح، و أدعاء حلول الله تعالی فی أجساد الدعاه، و دعوی النبوه، كما كانت فكره تجديد الاسلام كل مائه عام علی يد قائم مشهود لهذا الغرض من آثار الفكر الشيعی المنحرف الذی لا زال يؤمن به جماعه غير قليله من غلاه المتصوفه و منحرفيهم. و قد نسبها القائلون بها الی أبی هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفيه حيث قال موجها خطابه الی محمد بن علی ابن عبدالله بن عباس: «لم تمض مائه سنه من نبوه قط الا انتهت أمورها، لقوله عزوجل (أو كالذی مر علی قريه و هی خاويه علی عروشها قال أنی يحيی هذه الله بعد موتها فأماته الله مائه عام ثم بعثه)[البقره:۲۵۹]، فاذا دخلت سنه مائه فابعث رسلك و دعائك، فان الله متمم أمرك» و قد انتهز أعداء الاسلام من الاسماعيليه هذه الفكره فوقتوا انتهاء النبوه نفسها بمائه سنه. بل ان الغلاه قد هدموا بهذه الفكره ختام النبی

صلى الله علیه و سلم للنبوه و الرساله، و جهر بذلک أبومنصور العجلى المقتول عام۱۲۱ من الهجره اذ قال کما روى صاحب فرق الشیعه: «کان على بن أبى طالب نبیا و رسولا، و کذلک الحسن و الحسین، و على بن الحسین، و محمد بن على» ثم یقول: «و أنا نبى، و النبوه فى سته من ولدى، و یکونون من بعدى أنبیاء آخرهم القائم». کان هناک غلو و اغراق فى حب آل على رضى الله عنه من جانب الشیعه و کان هناک غلو و اغراق فى الانتقام ممن یوالى علیا من جانب حکام بنى أمیه، و لقد استبیحت المدینه المنوره بعد مقتل الحسین ثلاثه أیام فى وقعه الحره: أموالها، و دماء أهلها و أعراضهم، و اشتدت کراهیه الناس لیزید، و کثر الخارجون على نظام الحکم، و ضربت فى مواجهه ذلک کله الکعبه بالمجانیق، و بدأت حضاره الاسلام الممثله فى قوانینه و مثله العلیا تتدهور تحت وطأه جبابره بنى أمیه، و أصبح الاسلام فى المرتبه الثانیه بعد توطید الحکم الذى اعتبر فى الدرجه الأولى، و فى سبیل توطید الحکم کان الحجاج یخبر المنهزمین من جیش ابن الأشعث بین القتل و البراءه من الاسلام و الایمان، کما کان عمال [صفحه ۱۲] الأمویین یحولون دون اعتناق الفرس للاسلام بجبایتهم الجزیه منهم بعد اسلامهم، و لا سیما أهل خراسان منهم. لقد استذل المسلمون، و استهین بأقدار الاسلام حتى لقد بعث أحد الخراسانیین کما روى ابن سعد الى محمد بن الحنفیه یقول: «فما زال بنا الشین فى حبکم حتى ضربت علیه الأعناق، و أبطلت الشهادات، و شردنا فى البلاد، و أوذینا حتى لقد هممت أن أذهب فى الأرض قفرافأ عبدالله حتى ألقاه». و وبخ عبدالرحمن

بن أبى نعيم و هو من زهاد البصره أهل العراق قائلا: «يا أهل العراق، تسألوننى عن المجرم يقتل الصيد و قد قتلتم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد قال رسول الله فيه و فى أخيه: هى ريحانتاى من الدنيا»؟ و ترك أبوعثمان النهدى الكوفه و قال: «لا أسكن بلدا قتل فيه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه و سلم». و نهج هذا النهج خلائق كثيرون من الزهاد و العباد هاموا فى البرارى على غير هدى. و هكذا تتمزق وحده العالم الاسلامى، و يحار وسط هذا التمزق قوم مؤمنون حكماء، فلا يدرون من أمرهم رشدا يهديهم الى أفضل الوسائل للحفاظ على ايمانهم، و للعمل على اعاده الوحده و الوئام بين أبناء الدين الواحد. فما كان هناك الا الغلو فى الحب، و استغلال الحاقدين على الاسلام لهذا الغلو فى الحب، و العمل على نمائه بعقائد سريه قصاراها القضاء على أصل العقيده فى الاسلام، و كان هناك مخلصون لم يستطيعوا الجهر برأيهم، فالسيوف مصلته، و الأحقاد ملتهبه فى صدور الحكام، و لذلك آثروا الانزواء و الانسحاب فى موجه من الزهد السلبى و البكاء على مجد غابر. و كان هناك خارجون على الحكم هنا و هناك، منهم من يستغل ثأر الحسين فى سبيل الحصول على مكاسب دنيويه من الولايه أو الاماره أو مجرد الزعامه الفكريه، و منهم من عمل لنفسه طامعا فى الحكم بحجه انحراف بنى أميه عن سنن الاسلام، و منهم من كان عدو للاسلام كله، فما أراد بخروجه الا البلبله و الاضطراب و القضاء على وحده الفكر و وحده القياده. و كانت المنابر تدوى كل جمعه بلعن صحابى عظيم هو الامام على، و بلعن ذريته

الـذين هم أبناء الزهراء رضوان الله تعالى عليها، و كان هناك البقيه الباقيه من بنى الزهراء [صـفحه ۱۳] تتجه اليهم الأنظار، فلعل الله يحدث على أيديهم أمرا يخرجهم من هذا الذل المضروب على رقابهم، و يخرج الاسلام من محنته القاسيه، و لم تكن الأنظار تتجه الا ـ الى الفرع البـاقى من شـجره الامام الحسـين المباركه «على زين العابـدين» الامام السـجاد، أما أبناء مولانا الحسن الـذين أفلتوا من القتـل فقـد آثروا البعـد عن المعركه كلهـا. و فى هـذا الجو الخـانق الباكى عاش الامام زين العابـدين، يحمل تبعه هائله يحار فى موجها العاتى أعظم الناس جرأه، و أبيهم لسانا، ولكن العنايه كلأته فعاش حميدا، و مات حميدا يتوج التاريخ بسيره من أزكى السـير، و منهاج فى الفتن يتخذه المسلم من أشد المناهج دلالته على ألمعيه و ايمان عميق. و وعى ذكى يخدم الاسلام من خلال السـلم و الأمان و السلوك النموذجى الذى يعتبر أبلغ من كل كلام، و أجدى من كل سيف. العبد الفقير الى الله عبدالقادر أحد عطا [صفحه ۱۴]

على مفترق الطريق

قبـل أن نتحـدث عن موقف الامـام زين العابـدين من فتنه العصـر يحسن أن نعرض لجزء هـام من عناصـر حياته هو عامل الوراثه الذى يكون ميوله و أحاسيسه و وعيه النفسى و الروحى جميعا. أما أبوه فالامام الحسين بن على رضى الله عنه، و هو الذى قال فيه رسـول الله صـلى الله عليـه و سـلم و فى أخيـه الحسن: «همـا ريحانتـاى من الـدنيا». و فى حـديث أبى سـعيد الخـدرى: «الحسن و الحسـين سـيدا شـباب أهل الجنه». و روى فيه الترمذى قوله صـلى الله عليه و سـلم. «حسـين منى، و أنا من الحسـين، أحب الله من أحب حسينا». و هو الذى

كان النبى صلى الله عليه و سلم يحبه فلا يزعجه اذا صعد على ظهره و هو يصلى، بل يصبر حتى ينزل ثم يعتدل من سجوده، ورآه مقبلا و هو على المنبر فنزل فرفعه و أجلسه الى جواره. و جده لأبيه هو الامام على بن أبى طالب، أول مسلم من الصبيان، أسلم و سنه عشر سنين فى اليوم الثانى لبعثه النبى صلى الله عليه و سلم، و بعد اسلام خديجه مباشره، و لم يعبد صنما قط، و كان ربيب النبى عليه الصلاه و السلام، و أقرب الناس اليه، و خليفته على ودائعه، و ختنه و أباعقبه، و صاحب لوائه، و خليفته فى أهله، و أخى النبى صلى الله عليه و سلم بين نفسه و بين على و قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه». أما جدته لأبيه فهى سيده نساء الجنه فاطمه الزهراء ابنه النبى صلى الله عليه و سلم، و أمها خديجه بنت خويلد شرف نساء العرب و العجم، و شرف العقل الراجح و الأدب الوفير، و الوفاء النادر، و الأمومه الفياضه. و كفى بالزهراء أنها كانت أشبه الناس هيأه و مشيه بأبيها، و أن النبى صلى الله عليه و سلم كان يهش للقائها و يقوم، ثم يبسط لها رداءه الشريف، و أنها البقيه الصالحه التى كان منها أهل البيت النبوى الرفيع. و أم الامام زين العابدين هى الأميره «شهربانو» ابنه يزدجرد آخر ملوك الفرس، و يروى [صفحه ۱۵] ابن سعد فى طبقاته أن اسمها العربى «غزاله»، و يرى النوبختى أن اسمها «سلافه»، و كانت قبل أن تسلم تسمى «جهانشاه». هو اذن من الوجهه الوراثيه يرث خلاصه الروح العربيه فى

أرقى و أسمى مدارجها و سماتها العاليه من الأخلاق و الذكاء و الطهاره و العقل و الاحساس المرهف، و الفتوه العربيه الاسلاميه، و الشهامه و النجده و الايمان و اليقين. كما يرث خلاصه الاحساس الفارس و شمول الفن الأدبى الرفيع، و سمات السياده الرزينه و الخيال الجميل. هو اذن خلاصه العمق فى الخيال الأدبى من فارس ممتزجا بالصدق و العمق من بنى هاشم، و ملتقى السياده من بيت النبوه العربى و بيت آل ساسان الفارسى. أى انه كان ملتقى السياده الروحيه و الزمنيه جميعا. و ليس بعد ذلك من عز و لا مجد و لا فخر و لا سياده و لا شرف فى موازين الرجال. فاذا أضفنا الى تلك العناصر الوراثيه أنه عاصر جده الامام و هو رضيع حتى بلغ سنتين من العمر، و أشرف أبوه الامام الحسين على تربيته طفلا و يافعا و شابا حتى جاوز العشرين من العمر، رأينا كيف أنه نشأ على خلائق من بيت النبوه قوامها و التواضع فى السياده، و العلم، و الكرم، و الأدب الرفيع، و الفهم الصحيح الواعى لمثل الاسلام و أهدافه، فلا يجنح به الخيال، و لا يحد من عزمه اضطهاد، و لا تعريه الدنيا بزهرتها و بريقها، و انما هو بحكم الوراثه و المنبت انسان يرى الحق من حيث لا يراه أهل الهوى، و يدرك المسئوليه من حيث يدرك غيره نفس المسئوليه ولكن نحو نفسه التى لصقت بالأرض فلا ـ ترى مجد الا على ثراها، و لا مثل أعلى الا ما كان منها من نال و جاه. هو رجل ينظر الى السماء يحقق فيها مجده؛ بينما غيره ينظر الى الأرض يحقق فيها جاهه، فتحقق مجد السجاد فى الأرض

و فى السماء، و فشل غيره فى تحقيق مجد الأرض و لم يظفر بشى ء من السماء. شهد بعينيه و هو مريض تساقط اخوته و نبى عمومته بسيوف البغى على أرض كربلاء، ثم شهد سقوط أبيه سيدالشهداء فى معركه الفداء بعد جوله بطوليه نادره، و من قبل كان قد سمع باغتيال جده الامام و هو يعمل جاهدا لتصحيح خطوات المسلمين على الطريق، و حمل أسيرا مع الأسرى من نساء بيت النبوه و من بقى من فتيانه الساده المغاوير، و شهد الخلاف بين ابن زياد و من حوله على قتله، و أخيرا لم ينس قط أنه كان [صفحه ۱۶] مطمعا من مطامع هواه المال فى أسره، اذ أخفاه رجل عن القائد الأموى كما يقول ابن سعد، ثم سلمه الى ابن زياد نظير ثلاثمائه درهم، و كان هذا الرجل مع ذلك يبكى. و علام يبكى الرجل؟ و لماذا أخفاه ليسلمه بنفسه، و كيف يتفق البكاء على تلك الفعله الشنعاء مع الرغبه فى العطاء المدخول؟ انه الفكر المزدوج الذى أصيب به المسلمون فى عصر بنى أميه، الفكر الذى يؤمن بمبدأ و بنقيضه فى الوقت نفسه، و تلك بليه البلايا فى موازين السياسه و الاجتماع على السواء. فهم يحبون آل البيت، و يعرفون أقدارهم و منازلهم من رسول الله صلى الله عليه و سلم، و يدركون مدى ما ينصب عليهم من غضب الله لايذائهم و الاساءه اليهم، هم يعرفون ذلك و يكنونه فى صدورهم، و هم فى الوقت نفسه واقعون تحت سلطان النبوى، مستجيبون لنزوات النفس، راغبون فى المال لتحقيق أطماعها، و اسكات زئير الشهوات فى أعماقها، فهم لذلك يعملون بكلا الوجهين، البكاء على مصير آل البيت النبوى، و على الضحيه التى قبض

علیها هذا الرجل - و أمثاله کثیرون من أعز بیت النبوه رجلا - و علی نفسه التی لا ترحمه و لا تعفیه من تبعاتها حتی یأتی هذا الجرم المنکر الشنیع. لقد قال الناس قبل ذلک لجده: «قلوبنا معک، و سیوفنا علیک». و هذا أصدق تصویر للفکر المزدوج الذی تسلط علی الناس فی عصر بنی أمیه فهدد تفکیرهم، وهدد حضارتهم، وهدد تاریخهم کله علی مدی العصور. و هکذا امتد تأثیر الفکر المزدوج حتی شمل أولی الأمر و هم یستبیحون المدینه ثلاثه أیام، مالا و عرضا و دما فی وقعه الحره، بما لم یحدث له نظیر الا بین أنباء الغاب، و شمل أهل الفکر فی ذلک العصر و فیما بعده فقالوا: لا ضیر علی الدوله من قتل الحسین و أهل بیته، فالفتوح الاسلامیه قد امتدت شرقا و غربا، و قد أعز بنوأمیه الاسلام و لم یذلوا رقاب المسلمین. تلک أفکار شاعت فی العصر، ورددها رجال من عصرنا الحاضر، و قبل أن نفحص سلوک الامام زین العابدین ازاءها نری أن نقیم هذه الفکره حتی ندرک جوانب العظمه الفکریه البریئه من الازدواج لدی الامام السجاد. و تتلخص قضیه الحق فی تاریخ بنی أمیه فی: الارستقراطیه القرشیه المنهاره، و الرغبه الجامحه فی احیائها تحت ظلال الاسلام، و وسائل الاعلام المجنده فی هذا السبیل. [صفحه ۱۷] أما ارستقراطیه بنی أمیه فقد انهارت بالفعل حینما أسلم زعیمها أبوسفیان والد معاویه، و أصبح فردا عاملا فی نطاق الاسلام العام الذی یقیس أقدار الناس بمقاییس تختلف عن تلک المقاییس الجاهلیه التی کمنت الی حین فی أعماق أبی سفیان و أهل بیته، و أصبحت السیاده بمعناها الاسلامی الأصیل الذی ینآی عن حب السیطره علی الغیر، و عن حشد الجموع فی سبیل

الجاه الأرض الفارغ، بل انما العزه ممنوحه من الله، و لا قوام لها الا الايمان و انكار الـذات، و هو ما لم يتـدرب عليه الأمويون، أو كان عسـيرا على نفوسـهم آنذاک فلا تلين له الا بعد أجيال من التدريب. فما ان حانت الفرصه بولايه عثمان حتى أطلت الأطماع من مكامنهـا، و لم يكن ممكنـا أبـدا أن يتخلى الاسـلام عن مكـانه لتحـل محله الجـاهليه الأولى التى يسـهل على هواه الجاه أن يصـعدوا على أشـلائها، فليكن الاسلام، وليكن الجاه تحت سلطانه، ولتكن الأرستقراطيه على أساس من عقيده الاسلام التى ثبتت تجربتها فى تأسـيس أمجاد ضخمه لآل بيت النبى صلى الله عليه و سلم و للمتفوقين فيها من غيرهم، و التى قبلتها القلوب و العقول فلم يعـد من الممكن التخلى عنهـا أو القضـاء عليها. و حينما تصـطدم أرسـتقراطيه بنى أميه بانسان متفوق، أو بمبـدأ من مبادى ء الاسـلام، فمن الهين على وسائل الاعلام تشويه ذلک الانسان، و تأويل ذلک المبـدأ بما يخـدم المصـلحه الأمويه أولا و أخيرا، و جماع الأسانيد التى تدعم ذلک المجد المصنوع هو السيف أولا و أخيرا. وليكن هنالک فتوح باسم الاسلام، فذلک شى ء يخدم أمجاد الأمويين و يخدم الاسلام نفسه، فلا ضير عليهم من اتساع الفتوح، لأنها مجالات للطامحين و هواه المجد من العرب جميعا. فلئن كان الاسـلام يحتم انكار الـذات، و يوجه كل الطاقات نحو خـدمه المبدأ و العقيده و المثل الأعلى، و اعتبار القدوه الحسـنه من أخلاق الاسـلام عاملا من عوامل الفتح و اقناع الأمم المغلوبه بالعدل الاسـلامى المبسوط على الجميع دون تفرقه بين عربى و لا عجمى، و لا عظيم و لا صعلوک، فان الدوله الأمويه اعتبرت الاسلام وسيله من وسائل خدمه الذات

فی مجال المجد و المال، و بعثت عصبیه القبیله من جدثها، و أحیت العنصریه من رقادها، حتی لقد أخذوا الجزیه من مسلمی الفرس و لا ـ سیما خراسان، و لم تتورع سیوفهم عن الاطاحه بأغلی الرقاب و أعزها علی کل قلب مؤمن، و لم تتورع وسائل اعلامهم عن تشویه أعظم [صفحه ۱۸] الشخصیات بلاء فی بناء الاسلام من صحابه النبی صلی الله علیه و سلم. اسلام فی ناحیه، و قتل لرجاله المخلصین، و سیوف تجتاح رقاب آل بیت النبی، و نشویه لمثله العلیا من جهه أخری. فتوحات باسم الاسلام من جهه، و قدوه سیئه تنفر المغلوبین من الاسلام من جهه ثانیه، و عشرات من رجال القدوه الحسنه المنکرین لذواتهم، و المنادین بالمبادی ء السامیه، و الکاشفین عن وجه الاسلام الرحیم العادل یلقون حتفهم علی ید سفاح بنی أمیه الحجاج بن یوسف، معلم الصبیان الذی لمع نجمه علی البغی و الطغیان و التنکر للقیم الانسانیه فی أبسط مظاهرها، و الذی تفوح من نسبه و خلائق أمه ریح الغدر و التنکر للشرف. فهل یمکن القول بأن بنی أمیه خدموا الاسلام؟ و بأنهم لم یذلوه باذلال المخلصین من رجاله و من سلاله نبی الله لأنهم سیروا الجیوش شرقا و غربا باسم الاسلام؟ لا یقول بهذا القول الا مریض بازدواج الفکر هو الآخر، بحیث یفصل بین الاسلام من حیث هو عقیده، و بین الاسلام من حیث مثل أعلی واجب التطبیق، و ما ازدواج الفکر الا مرض عقلی فی عرف الطب، لا معتمد علی رأی المصاب به بأی حال. أما أصحاب الطریق السوی فی التفکیر فانهم یؤکدون أن بنی أمیه جنوا علی الاسلام، و أذلوا المسلمین، و أذلوا عظماء الرجال، و أذلوا آل بیت

النبى صلى الله علیه و سلم لیفسحوا لأنفسهم طریقا الى الارستقراطیه القدیمه التى بعثت على صوره أخرى غیر الصوره الجاهلیه الأولى فى الشکل العام، و ان کانت تتسم ببعض السمات الجاهلیه فى غیر العقیده کالتعصب القبلى، و اثاره المسلمین بعضهم على بعض، و الباس الباطل صوره الحق و الاستمساک به، الى آخر تلک الخلائق الأمویه المعروفه للجمیع فى التاریخ. شهد زین العابدین هذه المأساه هو بفصولها کلها، و رأى من حوله أقواما یحبون آل بیت النبى صلى الله علیه و سلم، و یتشیعون لهم عصبیه بلغت ذروتها عاطفیا حتى جمحت بهم الى الباطل الصریح، و کان قد اندس بین الشیعه أقوام حاقدون على الاسلام دسوا لهم بعض التأویلات الفاسده التى تصنع آل البیت فى غیر مواضعهم من البشر، و انساق الشیعه وراء تلک التأویلات، ففسدت عقائدهم، و أساءوا الى أهل البیت من حیث یحسبون أنهم یحسنون الصنیع. [صفحه ۱۹] لقد انحرف الأمویون المعادون لآل البیت و لغیرهم من ینقد سیاستهم، و انحرف المحبون لآل البیت کذلک، فماذا کان موقف الامام زین العابدین؟ کان موقفه نابعا من الاسلام نفسه، بحیث کانت حیاته هى حیاه الاسلام الذى دعا الیه جده الأعلى صلوات الله علیه و سلامه وسط تلک الفتنه العمیاء التى کادت تقضى علیه قضاء مبرما. کان مسالما للأمویین، فلم تعد نجد الثوره بالسیف على الطغیان السائد، من حیث تجدى الثوره التى یتضمنها احیاء المثل الأخلاقى الأعلى للاسلام، و افساح الطریق لهذا المثل الأعلى باصطناع المسالمه للحاکم المتعطش للدم، و بذلک استطاع الامام أن یتقى شرور الأمویین، بل و یکتسب حبهم، و فى الوقت نفسه یجعل من أخلاقه مثلا عملیا مشهودا یلتف حوله أنصار الاسلام الخالص من کل دخیل

و یقمع باطل بنی أمیه بلسان الحال. و قد شهد الامام الزهری بنجاح الامام زین العابدین فی هذا المضمار فقال فیما رواه الذهبی: «کان من أفضل أهل بیته، و أحسنهم طاعه، و أحبهم الی عبدالملک بن مروان». و فی الوقت نفسه أعلن ضلال الشیعه و انحلال تفکیرهم الممثل فی تلک الصور الخیالیه الأسطوریه التی أضفوها علی أئمه آل البیت، فقال لمن أثنی علیه من أهل العراق: «ما أکذبکم و ما أجرأکم علی الله، نحن من صالحی قومنا، و بحسبنا أن نکون من صالحی قومنا». و ما له لا یعلن ضلال محبیه و هو الامام المنکر لذاته فی سبیل دین الله؟ و مع أنه کان یستمع الی سب جده الامام علی، و سب ذریته علی المنابر و هو منهم، فلم یشأ أن یقاوم الجریمه مثلها - و هو الذی لم یصب بازدواج الفکر - فلم یشجع السبابه و بخاصه الکیسانیه فی سبهم لآل أمیه، لأن المسأله عنده لیست مسأله أشخاص، و انما هی أساسا قضیه الاسلام الذی ینفر من السباب، و یدعو الی الوئام، و لئن کان الأمویون دعاه شتم و سباب، فلم یشأ الامام أن یجاریهم فی باطلهم، بل آثر الاعتصام بالحق، و قال للشتامین من الشیعه: «أشهد أنکم لستم من الذین قال الله عزوجل فیهم: (و الذین جاءوا من بعدهم یقولون ربنا اغفرلنا و لاخواننا الذین سبقونا بالایمان و لا تجعل فی قلوبنا غلا للذین آمنوا ربنا انک رءوف رحیم (۱۰))[الحشر:۱۰]. [صفحه ۲۰] و لم ینس الامام أن یواجه الغلاه الذین وضعوا الأئمه فی درجه من الألوهیه بألامه و غضبه الشدید من مسلکهم هذا، فکان یقول لهم: «أیها الناس، أحبونا حب الاسلام، فما برح بنا

حبکم حتی صار علینا عارا». هو رجل الاسلام المنکر لذاته من أجله، و لذلک التفت حوله القلوب، و اجتمع حوله المسلمون باعتباره المثل الأعلی للقدوه الاسلامیه الحسنه التی یجب أن تحتذی، و تمنی الجمیع لو أن علی بن الحسین أصبح امام المسلمین و أمیرالمؤمنین، اذن لعاد المجد الأول للاسلام، و امحی ما جد فیه من بدع و أهواء. کانت صلات الامام مع العلماء المخلصین وطیده، و لم یکن یری لنفسه فضلا علی علماء العصر، بل انه کان یسعی الی سعید ابن جبیر الذی قتله الحجاج عام أربع و تسعین من الهجره و یتتلمذ له، و کان یعتبر الغلو مهانه لآل البیت کما روینا عنه من قبل، و کما کان یردد دائما: «لیس عندنا ما یرمینا به هؤلاء» و یشیر الی العراق. و دان بالصفح الجمیل عن کل من أساء الیه، حتی لقد جاءه رجل فقال له: ان فلانا قد ذمک و وقع فیک. قال: فانطلق بنا الیه، فلما رآه قال له: یا هذا، ان کان ما قلته حقا فغفرالله لی، و ان کان ما قلت فی باطلا فغفرالله لک». تلک هی أهمیه الامام السجاد فی التاریخ، و هی أهمیه نابعه من تمثل شخصیه الاسلام الحق فی شخصه، و من أنه لم ینفعل بما یسمع من لعن جده و أبیه و لعنه هو فی کل صلاه جمعه، و علی کل منبر، کما لم ینفعل بما أضفاه الشیعه علی آل علی و هو منهم من أساطیر تحلو فی أعین طلاب المجد و فی قلوبهم، فلم یذهب به حق علی عدو، و لم یأسره غلو من صدیق، بل کان هو الاسلام الحق مجسما فی خلائق انسان، و قل علی

وجه الأرض من يقف هذا الموقف العجيب الذى ينم عن تحكم شديد فى العاطفه و سياده عليها، و اضراب عن الاستجابه لها الا فيم يخدم الاسلام و كفى. فزين العابدين هو المبدأ الحق فى انسان، و ليس هو انسانا بكل عواطف البشر فى مبدأ. ولكن باحثى العصر الحديث يحلولهم دائما أن ينساقوا وراء المستشرقين فى الحكم على رجال الاسلام البارزين من أمثال الامام السجاد، و فى تقييم شخصياتهم و أعمالهم على صوره تخفى تفوقهم و تساميهم عن باطل العرف، و فاسد الموازين، و تعلل هذا التسامى و تلك العظمه بعلل سياسيه خارجه عن نطاق شخصيه الرجل العظيم. [صفحه ۲۱] قالوا: ان السبب فى التفاف المؤمنين حول الامام زين العابدين هو أن أمه كانت أميره فارسيه، و من ثم كان يحق فى نظر الفرس حمل التاج الساسانى، و يحكم العرب و العجم. و قد أيد المرحوم الأستاذ أحمد أمين هذه الفكره فقال فى فجر الاسلام: «ان من عقائد الفرس الدينيه التى كان لها أثر فى بعض المسلمين أنهم كانوا ينظرون الى ملوكهم كأنهم كائنات الهيه اصطفاهم الله للحكم، و خصهم بالسياده، و أيدهم بروح منه، فهم ظل الله فى أرضه... فنظره الشيعه الى على و أبنائه هى نظره آبائهم الأولين». و قد نقل الأستاذ الدكتور مصطفى الشيبى هذه الآراء عن الكتاب المعاصرين و قال: انها زبده رأى «جوبينو» فى كتابه «الدين و الفلسفه فى آسيا الوسطى». كما نقل عن الدكتور حسن ابراهيم حسن انسياقه وراء تلك الفكره فى كتاب تاريخ الأدب الايرانى، ثم دحض الدكتور الشيبى تلك المزاعم مؤكدا تشابه الأمر على الباحثين، فقد ثبت أن الموالى فى عصر زين العابدين لم يرفعوا صوتا بتلك الدعوه، كما

أن نظریه النور التی شاعت فی ذلک العصر و التی یمکن أن تکون مستند اللقائین بهذا الرأی قد ظهر أثرها متأخرا جدا عن حیاه زین العابدین. و الدکتور الشیبی مشکور لأنه لم یغتر بقول المستشرقین، و لا بأقوال من حذا حذوهم. و نزید علیه فنقول: ان التفاف الناس حول زین العابدین کان نابعا من رغبه أکیده لدی الناس بوجه عام فی رتق الفتق الکبیر الذی حدث فی الاسلام، و لم یکن مؤهلا بهذا الأمل علی الاطلاق غیر زین العابدین، و لم یکن أنصاره مؤهلین أیضا لحمل السیف. کانت المشکله تتطلب رجلا هادئا متزنا، یدرک مصلحه الاسلام أولا و أخیرا، و یضحی بصالح نفسه فی سبیلها، و ینکر ذاته من أجلها، و لا یفرط فی مبدأ خلقی اسلامی حتی ولو کان فی ذلک التفریط رئاسته و سلطانه، و کان عامل الوراثه هنا یؤهل زین العابدین لأن یکون هذا الرجل، فجده الامام علی رفض مبدأ الرشوه لیحقق لنفسه نصرا أکیدا علی جیش معاویه، و یوطد الملک و الخلافه لنفسه، اذ لم یکن الأمر یتطلب منه سوی دنانیر یوزعها علی الجیش فی مواجهه الدنانیر التی أنهالت علی جیش معاویه و برفت فی قلوب جند الامام، ولکن الامام کان یری أن المشکله لیست، مشکله علی بن أبی طالب، و انما هی مشکله سیاده الاسلام، و لیست مشکله جیش یرضی و یسخط، بل هی أزمه الایمان الذی یدفع الی الجهاد فی سبیل الله بالمال و النفس لوجه الله. [صفحه ۲۲] لم یکن الامام یجهل هذا، بل لقد سار فی سیاسته عن وعی سار علی نهجه حفیده زین العابدین من بعده، و بینه و بین جده فدائیه أبیه الانتحاریه النادره فی سبیل الحق و هی من

نفس الطراز الصادق و المنكر للذات. لهذا التشابه وحده التف المسلمون حول الامام زين العابدين، و أعجبوا بابن بنت النبى الذى وضع نفسه موضع التلميذ لأحد الموالى و هو سعيد بن جبير الذى قتله الحجاج، و كان تلقيه عن سعيد بن جبير فى الواقع ضربه فى صميم الشرف الأموى الذى احتقر رجاله الموالى، و احتقر المسلمين من غير العرب، كما كان ضربه قاصمه للشيعه الذين كانوا ينسبون الى الأئمه من آل البيت أطلاعهم على العلم السرى، و على مناهج تطبيق الآفاق على الأنفس، و تقدير التنزيل على التأويل، و تصوير الظاهر على الباطن التى أثروها عن أبى هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفيه. لم يشأ زين العابدين أن تكون القاعده التى يدعو فيها الى المثل الأعلى المتمثل فى القدوه الحسنه و التى تعمل على احياء ما هجر من مبادى ء الاسلام ضيقه ضيق قاعده الشيعه وحدها، أو قاعده العلماء وحدهم، بل شملت قاعده قدوته الحسنه العلماء و الشيعه و العامه و حكام بنى أميه أنفسهم، و أصبح بهذه السياسه الحكيمه أمل الملايين، و ملتقى أبصارهم. لم يكن هناك غيره يمكن أن يلتف حوله المسلمون بقلوبهم، و لم يكن هناك غيره يستطيع أن يصل بصوته الى أسماع المسلمين، فهو رابع الأئمه عند الشيعه مسبوقا بالامام على، و الامام الحسين، ثم محمد بن الحنفيه، ثم الامام السجاد الرابع. و كان الغو قد بدأ منذ عهد الامام على، ولكنه لم يتخذ فى عهده طريقا مستقرا، لأنه كان يقمع كل من يخرجه عن دائره الانسان أما الأمويون فقد غلا جيشهم غلوا فاحشا فى تصوير الجمل الذى كان يحمل أم المؤمنين عائشه رضى الله عنها بصوره روحانيه هو الآخر، و ذلك حين أخذ رجال من الأزد

الذين كانوا يحيطون بالجمل بعر الجمل و يفتونه و يشمونه و يقولون: «بعر جمل أمام ريحه ريح المسك» كما يقول الطبرى، فلم يكن غريبا أن يبادلهم الشيعه غلوا بغلو ولكن فى أئمه آل البيت لا فى الجمال و غيرها مما مسه آل بيت النبوه. و لم يكن الامام الثالث محمد بن الحنفيه بمستطيع أن ينفذ بصوته الى الناس - و كان [صفحه ۲۳] يكره الغلو - لأن ابن الزبير كان قد حاصره فى الشعب، و كان عبدالملک بن مروان يحول بينه و بين الاتصال بأنصار أبيه، فما زال ينتقل من بلد الى بلد حتى مات بالمدينه، و خلفه ابنه أبوهاشم عبدالله، الذى يصفه الأصفهانى فى مقاتل الطالبين بأنه كان «لسنا خصما عالما و كان وحى أبيه». ولكن ما أثر من تاريخه يقول: انه أحيا فكره التنبؤ بالمغيبات، و ذلک ظاهر مما رواه الأصفهانى من أنه أخبر السفاح بأنه سيموت عند وصول وافدين أحدهما من السند و الآخر من الهند، كما أنه كما يقول اليعقوبى قال بسريه الأعداد و أهميتها، و قال بفكره تجديد الدين كل مائه عام كما أسلفنا من قبل، و لذلک لم يكن صالحا لحل المشكله فى قلوب الغالين، لأنه قد فتح بابا من السريه فى العلم، و هذا الباب مرتع خصيب للغلو و الغلاه، كما أنه حصر الامامه فى كل من يعلم العلم السرى وحده، و ينقل الشهرستانى عن أصحاب أبى هاشم عنه قوله: «ان لكل ظاهر باطنا، و لكل شخص روحا، و لكل تنزيل تأويلا، و لكل مثال فى العالم حقيقه، و المنتشر فى الآفاق من الحكم و الأسرار مجتمع فى الشخص الانسانى، و هو العلم الذى استأثر بن على عليه السلام، ثم

ابنه محمد بن الحنفيه، و هو أفضى بذلك السر الى أبى هاشم، و كل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الامام حقا». فلئن كان هذا القول ظل من الحقيقه عند التأمل العميق فليس العصر عصر العمق الفكرى، و الفلسفه الانسانيه، بل هو عصر يتطلب من المصلح العوده الى البساطه، و اغلاق باب التعمق اغلاقا تاما، فما مصيبه العصر آنذاك الا التعمق و الاغلاء، و ليس يجوز أن نعالج المشكله بنفس المشكله. من هذا العرض يتبين لنا عبقريه زين العابدين و وعيه الدقيق فى مواجهه المشكله و فهمها، و ادراك أبعادها، و صحه منهجه الزهدى البعيد عن الخوض فى مشكله الامام و شروط الامام، و كان منهجه الزهدى المتسامح عاملا من عوامل نجاحه فى طريقه، اذ التف حوله الزهاد و العلماء و العامه، و الشيعه فى تحفظ من الخوض فى مسائل الفلسفه التى كان يمقتها، و هذا هو السرفى أن عبدالملك بن مروان كان يحبه و يقدره قدره. [صفحه ۲۴]

رأس أهل الملامه

من العسير أن ندرك حقيقه العمل، أو حقيقه الهدف من العمل عند أهل الملامه الخلص أهل القدم السابق، و السلوك السوى، و الاخلاص العميق، و الايمان الخالص من الشائبه. أما أهل الملامه المتأخرون فانهم وقعوا فى المنكر و هم يحاولون تخليص أعمالهم من الرياء كما يوحى به قول حمدون القصار، ذلك الملامتى البارز حين يقول: «اذا رأيت سكران فتمايل، لئلا تبتلى بمثل ما ابتلى به». فقد أهمل حمدون شعيره النهى عن المنكر، و أوهم الناس بسكره، و ربما لم يفطن أحد العامه الى هذفه فعاقر الخمر اعتمادا على مظهر حمدون الذى كان يعد فى كبار الصوفيه الواصلين. و لذلك كان من السهل كشف حقيقه العمل و

هدفه عند أهل الملامه المتأخرين، و لا سيما أولئك الذين اتخذوا أستارا رقيقه تفضح ما وراءها من دعوى الملامه عند المدعين لها فى العصر الحديث. و الملامه عباره عن العنايه باخلاص العمل لله وحده دون العنايه بالظاهر، و محاوله ستر هذا الاخلاص لله، أو ستر الأعمال العباديه نفسها بما يصرف أنظار الناس عنها. و قديما كان أهل المواجيد الصادقه يسترون مواجيدهم بالفقه و الحديث أو غيرها من الحرف و الصناعات، أما ستر الأعمال بتقليد السكارى فانه صار من بعد ذريعه الى السكر نفسه، ثم دعوى الولايه من خلاله، أو من خلال غيره من الأعمال المكروهه أو المحرمه على ما سنفصله فى نهايه هذا الفصل. و اذا كنا نعتبر الامام زين العابدين رأس أهل الملامه فانما كان ذلك قبل أن تكون الملامه مذهبا مستقر الأصول و القواعد، فهو على هذا لا يعدو أن يكون معنيا باخفاء العمل من جهه، و اخفاء هدفه من جهه أخرى، متخذا من الظروف التى أحاطت به وسيله لهذا الخفاء دون اصطناع وسائل أخرى من خارج الذات البشريه، و على هذا كان يجب أن يسير الملامتيه عبر العصور، ليجنبوا أنفسهم الوقوع فى المحظور كما حدث بالفعل. أما الوسيله التى تذرع بها السجاد لاخفاء أعماله القلبيه و أهدافها فكانت «البكاء». و كانت ظروفه الانسانيه التى يقرها العرف تحتم عليه ادامه البكاء، ولكن الأمر الذى لا يمكن، أن نوافق عليه هو أن يكون الامام السجاد أحد البكائين حسب، و لا موهبه له فى [صفحه ۲۵] الدين الا بالبكاء، لأن سيرته تفصح لنا عن كثير من المواهب الروحيه النادره التى سنعرض لها خلال هذا الفصل ان شاء الله. لقد تحقق لوم الناس له على البكاء

باعتباره كان أمرا لازما له، لا يفارقه الا قليلا، و كان رد الامام على لائميه يؤكد لهم أن بكاءه ما كان الا لظروف نفسيه معينه أحاطت بحياته، و ليس هو بكاء الخوف و اليقين الروحى الذى يصدر عاده من المتفوقين فى مواهب الروح، قال كما يروى أبونعيم: «لا تلومونى، فان يعقوب فقد سبطا من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه و لم يعلم أنه مات، و قد نظرت الى أربعه عشر رجلا من أهل بيتى يقتلون فى غزاه واحده، أفترون حزنهم يذهب من قلبى؟». و فى روايه أوردها صاحب روضات الجنات نقلناها عن كتاب «الصله بين التصوف و التشيع، أن الحسن البصرى لقى الامام السجاد ملثما يبكى و يتضرع فى الكعبه، فقال له: يا سلاله النبوه، ما هذه المناجاه و البكاء و أنت فى أهل البيت، و قد قال الله عزوجل: ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا. قال: دع يابن أبى الحسن. خلقت الجنه لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا، و خلقت النار لمن عصاه ولو كان شريفا قرشيا، و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: «أيتونى بأعمالكم لا بأنسابكم». فهو كما نرى ينفى الامتياز عن نفسه نفيا قاطعا مؤيدا بالدليل، و يضع نفسه فى موضع عامه الناس المطالبين بالعمل و العباده و الطاعه، ولكنه يكتفى بهذا القدر من أصول الملامتيه أمام الحسن البصرى الزاهد العالم العارف بما يكنه ابن الحسن من مواهب الروح، فلم يكن رده عليه مساويا لرده على عامه الناس بأنه انما يبكى على القتلى من أهله و عشيرته، ولكنها الملامتيه الصحيحه فى كلا الوجهين، دون نزاع، تختلف وجوهها و تتعدد طوائفها دون أن تجنح عن الواقع الى أساليب مصنوعه تثير الغش

و الخـداع بين طوائف المؤمنين. و لم ينس زين العابـدين أن يطلق قولاـ حكيمـا جرى فيمـا بعـد مجرى الأمثال يعلل به بكاءه، و ينفى عن نفسه أن يكون سـببه احساسـا روحيا متفوقا فيقول: «فقـد الأحبه غربه». و هو قول حق، و سـبب وجيه يـدعو المصاب به للبكاء ليله و نهاره، و قـد يكون هـذا السـبب عاملا من العوامل التى أذكت جذوه البكاء فى قلب الامام السـجاد، ولكنه ليس كل شى ء فى مواهبه التى تناقلتها الروايات بصوره جعلتها ذات دلاله على التفوق [صـفحه ۲۶] و الامتياز فى مواهب الروح حتى ولو كان طابع الأسـطوره يظلل بعضـها بظلاله المعبره التى تفصح عن أعاجيب أحواله فى هذا الميدان. كان مرهف الحس و المشاعر مـا فى ذلك من شك، و تأثر تأثرا عميق بليغا بمصارع أهل بيته و على رأسـهم أبوه العظيم لا يرتاب فى ذلك أحـد، و لابـد من أن تنتزع تلك الفاجعه الشنعاء دموع عينيه و أحزان قلبه و فيض عواطفه و آلامه، ولكن الذى لا يعقله انسان أن يكون بكاء الامام السـجاد مـدى حياته مدفوعا بهذا السـبب وحده، و هو ربيب الحسـين، و رضـيع لبان النبوه الطاهره، و المتشـرب لخلاصه الايمان الصابر الراجع بالخلق كله الى الله، بل ان العامه أنفسـهم لا يكونون على حال البكاء مـدى الـدهر لفقـد الأحبه و الأهل و العشـيره أبـدا، فليس من السائغ مطلقا أن ننسب الى السـجاد ما لا يتحقق عند عامه الناس، فقد كان بكاؤه موجها نحو ما هو أسـمى و أدل على التفوق من هـذا السـبب الظـاهر. لقـد اسـتغل هـذا السـبب الظـاهر ليغطى به السـبب الحقيقى لبكائه، و ليعلم الناس من بعـده وجوب اخفاء العمل لله بأسباب من طبيعه

حیاه العابد لا بأسباب مصنوعه تنم فی کثیر من الأحوال عن ریاء من حیث یظن العابد أن یتجنب الریاء. و فی نفس هذا السلوک یکمن التفوق و البروز فی مواهب الروح، و سبحاتها نحو الغیب الأقدس. لقد أعلن الامام فیما روینا من أقواله قبلا أنه لا یمتاز عن غیره من سائر الناس، و لیس فیه و لا ـ فی غیره من أئمه آل البیت ما یرمیهم به أهل العراق من خروج عن مراتب الانسان، ولکنه کان یبطن فورانا هائلا من مواهب الروح کتمه عن الناس، و علل مظاهره من البکاء و العجیب بما روینا عنه من تعلیلات، ولکن شده احساسه بالغیب، و یقینه بغیر المنظور و کأنه مشهود منظور کان یأبی الا أن یکشف عن دخیله نفس الامام، و حقیقه ما یتبلح فی صدره من مواهب الروح، و أسباب البکاء الحقیقیه، و لم یکن ظهور تلک الدلائل التی تشیر الی التفوق مقصورا للامام، فهناک اجماع علی خلائق من خلائقه کان یحکم کتمانها احکاما عجیبا بحیث لم تظهر حقیقه أخلاقه سبویه الا بعد موته، و کان ذلک منه امعانا فی احکام أخلاق أهل الملامه، و احکام طرائفها. فمن غرائب ذلک أنه کان مشهورا بالبخل، لأنه لم یکن یتصدق مطلقا أمام الناس و لا فی مواجهه السائل، و کان سعیدا باشتهاره بالبخل و لوم اللائمین علیه، ولکنه لما مات انقطع عن مائه أهل بیت بالمدینه ما کانوا یجدونه ملقی فی دهالیز بیوتهم من عطاء [صفحه ۲۷] جزیل، فکان فی ذلک دلاله علی أنه کان کما تروی المراجع یذهب مستخفیا فی جنح الظلام، و یحمل علی ظهره جرب الطعام،؟؟ فی دهالیز من کانوا یقصدونه و یمنعهم عطاءه، و یروی

أبونعيم عن جرير أن الامـام حين مات وجـدوا بظهره آثارا مما كان يحمل بالليل الجرب الى المساكين». كما يروى القرمانى فى أخبار الدول، و الذهبى فى التذكره أنه كان يتصدق سـرا و يقول: «صدقه السـر تطفى ء غضب الرب». لقد نجح الامام فى كتمان كرمه النبوى الذى ورثه عن جده الأعلى صلوات الله عليه، و صبر على شهرته بالبخل فى سبيل نجاح العمل السرى الواجب شرعا، ولكن الله أبى الا أن يدع العلامه الواضحه التى تدل على كرمه بعد موته، و التى تعتبر من صنيع الامام فى حياته مثلا أعلى للعمل الاسـلامى الذى يحفظ كرامه المؤمن و ماء وجهه، و يؤكد حكمه السريه فى الصدقه لهذا السبب و لغيره من الأسباب الاجتماعيه الأـخرى. هـذا أمر يمكن كتمـانه حقـا على تفوق و عبقريه نـادره، و قوه خارقه على الصبر فى مواجهه الاتهام بالبخل، فهل يعجز هـذا الصبر الهائل عن التسـلى عن فقـد الأهل و العشـيره و هو أمر أهون من رميه بخلق ممقوت كالبخل، بل ان فقـد الأهل يزيده شرفا و عزا على مدى العصور، و سـموا فوق هامه التاريخ؟ ولكن مواهب الروح لابد أن تتفجر أحيانا فتكشف عن دخيله الامام و حقيقه مكـانه بين أهـل الايمان النبوى الموروث و أصـحاب الحاسه الوحيه البارعه الصادقه، و غير ذلك من المواهب و مواريث العمل الايمانى الـذى كان يخفيه بالبكاء، و يتستر به من مظنه الادلال بالعمل، أو الاشـتهار به، أو رياء الخلق فيه. و كان انكشاف تلـك الحقيقه يتخـذ أهـدافا مختلفه كلها تخـدم قضـيه الايمان الصادق، و تـدعم الأساس الهام فى العمل الاسـلامى و هو توجيه الاراده بالعمل نحو الله وحده لا شريك له، لا لهدف آخر سواه.

فهو يقول فی روایه أبی نعیم مبتهلا الی الله فی لحظه من لحظات اتهام النفس بالتقصیر رغم بلوغها الغایه فی الاجاده: «اللهم انی أعوذبک أن تحسن فی لوائح العیون علانیتی، و تقبح فی خفیات العیون سریرتی، اللهم کما أسأت و أحسنت الی، فاذا عدت فعد علی». فهو یخشی أن تکون علانیته أبلغ من سریرته فی الاحساس بالاخلاص، و فی اخلاص الاراده لله وحده، و فی البأس من الخلق کلهم و الثقه بالله وحده، یخشی ذلک رغم جهوده التی کان یبذلها فی الاسرار بأعماله، و احکام السنار حولها أن ینفذ منها شی ء یعلمه [صفحه ۲۸] عنه الناس، و هو فی الوقت نفسه یلقن أهل الملامه درسا هاما فی سلوکهم هو: وجوب الدوام علی اتهام النفس بالتقصیر. و الذی ندرکه من حقیقه سلوک الامام أنه کان حریصا کل الحرص علی أن تکون سریرته أغنی بالاخلاص من ظاهره، و أغنی بالاراده الصادقه من بوادی أموره، و کان یعد الخلل فی هذا التوازن بین السریره و العلانیه، أو عدم اثراء السریره عن العلانیه بالنیه الصادقه ذنبا یسأل الله تعالی أن یستره بغفرانه، و فوق ذلک کله فانه عد نفسه أحد المذنبین فی سابق الحال، و یرجو أن یوالیه الله تعالی بالغفران. و قبل أن ننتقل الی هدف آخر من أهداف الامام التربویه فی فقه الایمان یحسن أن نعرض بالتحلیل لعنصر الذنب الذی ورد فی هذا الدعاء. ما هو الذنب الذی اقترفه الامام، و الذی یشیر الی احتمال العوده الیه راجیا موالاه الغفران؟ لا نجد فی سیره الامام مطلقا ما یشیر الی مظنه الذنب الا أحد أمرین: أولهما: استحاله الوفاء بحق الله فی التعبیر عن العبودیه الحقه قولا و عملا

وفـاء كاملاـ بحيث لا يؤخـذ عن العابـد فيه أى مأخـذ من قريب و لا من بعيـد، فالنعم الالهيه من الوفره و الثراء بحيث لا يفى بها شكر شـاكر، و مسأله الشـكر فى ذاتها لا تنتهى الى نهايه، فالشـكر تتبعه زياده من الله تعالى فى الانعام، و لـذلك قالوا: ان الشـكر يحتاج الى شـكر، و هكذا تنهار أقوى الهمم عن الوفاء بحق الشـكر و موالاته تبعا لتوالى النعم، و هذه احدى وجوه العجز البشرى العام، و هذا العجز ان كان هينا فى نظر العامه بالنسـبه للامام السجاد لأنه اتقى الله ما استطاع، فان الامام يعده ذنبا وجب الاستغفار منه. و ثانيهما: أن الحال كان يقتضـى تغيير المنكر السائـد فى الدوله من أعلاها الى أدناها، و كان المسـئول الأول فى العصـر هو الامـام السـجاد باعتباره البقيه الباقيه من سـلاله النبى صـلى الله عليه و سـلم صاحب الـدعوه، و الباذل نفسه فى سبيل تحقيقها على وجه الأرض قولا و عملا. ولكن مصائرين الجاهرين بالنهى الراغبين فى تغيير المنكر السائـد كانت معروفه واضـحه لدى الجميع، بالاضـافه الى تخـاذل النـاس عن جـديه العمـل، و اشـتهارهم بنقض العهـود، و فى القـاء الامـام السـجاد بنفسه الى تلـك التهلكه المؤكـده خطر على الاسـلام ذاته، اذ لا يوجـد من بعـده من ينهض بالناس على طريق القـدوه و على تربيه جيل فاهم واع لحقيقه العمل الاسـلامى الصـحيح. و من ثم كان وجوده لازما لبيان تلك الأسـس للناس [صفحه ۲۹] فى نطاق مدرسته الزهديه. فاعتبر سكونه هذا ذنبا يجب الاسـتغفار منه، و هو فى الواقع ضـروره أملتها مصـلحه الاسـلام و الغيره على أسسه أن تضيع من جهه، كما أملتها الأوامر الالهيه الصريحه بعدم اعانه الانسان

على نفسه اذا تحقق الهلاک. و من أهدافه التربويه التى لم يستطع کتمها وفاء بمذهب أهل الملامه الحق، و التى تعتبر ذات دلاله بالغه على القيمه الحقيقيه لتفوق الامام الروحى ما يبدو من قوله: «ان قوما عبدوا الله رهبه فتلک عباده العبيد، و آخرين عبدوه رغبه فتلک عباده التجار، و قوما عبدوا الله شکرا فتلک عباده الأحرار». فهو هنا لا يتحدث عن نفسه، و انما يتحدث عن مسالک الناس فى العباده حديث الواعى الفاهم لهدف الناس من العباده بحيث لا يخرج عابد عما حدده الامام من أقسام ثلاثه. ولکن نلمح من حديث عن الناس ايمانه العميق بالحب الالهى الذى ظهر مبکرا فى صوره منظمه على يديه. فهذا الحب هو الذى تبدولوا معه منه عباده الأحرار البريئه عن الخوف من العذاب، و الرغبه فى الثواب، فهى عباده قوامها الحب وحده اذا لم يحدوها خوف و لا رجاء. و رغم أن عباده العبيد و عباده التجار مشروعه، و لا ضير على المسلم من عباده ربه خوفا منه أو طمعا فيما عنده فان الامام زين العابدين قد هدف من قوله هذا الى رفع همم المسلمين الى أرقى مستويات الوعى الروحى بالترغيب فى الحريه الکامنه فى الشکر، و لا يستبعد أن يکون الامام قد هدف کذلک الى صد الناس عن الخوف و الرغبه اللذان دان بهما الناس لأولى الأمر حتى فسدت أعمالهم، و اختلت اراداتهم على الصوره المزريه التى عرفت عن عامه أهل ذلک العصر. و من هذا النص نفهم کذلک أن البخل الذى اشتهر به الامام لا حقيقه له الا فى معرض التستر و الاسرار بالعمل، و الرغبه فى شيوع العکس على طريقه أهل الملامه. و ذلک لأن الشکر

الـذی اعتبره الاسـلام أصـلا فی المعامله بین الله و عباده، و الـذی دان به الامام السـجاد یقوم أساسا علی: الاقرار باللسان، و عـدم استعمال النعم فیما کره الله، و وجوب العود بها علی أهل العدم و المسـکنه. و أعلی الشـکر ما عاد به الشاکر علی أهل المسـکنه سرا، و أعلی منه أن یعود الشاکر علیهم من حیث لا یعلمون من الذی أعطاهم، و ذلک کان مسـلک الامام زین العابدین رضوان الله علیه. ولکن الأمر الـذی لم یسـتطع کتمه حقا، و لا طاقه لانسان علی کتمه فهو ظهور آثار [صـفحه ۳۰] الانفعالات الوجدانیه علی ظـاهر ملامحه حینما کان یقف بین یـدی الله تعالی. فقـد کانت تظهر علیه رعـده، و یعلو وجهه شـحوب، و ینتفض انتفاضـه ظـاهره سـنعرض لها بالتفصـیل مع غیرها من مظاهر وعیه الروحی فی مکانها ان شاء الله، ولکن الـذی یهمنا هنا أنه أعلن أن هـذه الظواهر البدنیه ما هی الارد فعل لما یحسه من هیبه الله تعالی حین یسـتعد للوقوف بین یدیه للمناجاه. فکیف یستقیم هذا الاعلان مع مبدأ الاسـرار بالعمل الذی دان به عن طریقه أهل الملامه الأصـلاء الأقدمین؟ و نقول: ان ستر الأعمال، أو «الملامتیه» ان صـح أن نطلقها علی سلوک الامام السجاد فی أصل وضعها لا تحظر اعلان الأصول العملیه للقدوه و التربیه لا سیما و قد کانت هیبه الله توشک أن تندثر من قلوب أهل العصر فی أیام زین العابدین. و هل هناک من خیر فی ستر مظاهر الهیبه المتسلطه علی القلب من جلال الله بین أقوام تسلط علیهم الطمع و سادهم حب المال، و عدوا بسیوفهم و ألسنتهم علی آل بیت النبوه؟ بل ان الخیر کله فی اظهار ما

كان يصح اخفاؤه لا سيما من امام جليل كزين العابدين يأمن الرياء و يأمن علل الأعمال الأخرى بحكم نشأته و دربته على العمل العبادى الصحيح منذ نعومه أظفاره. و هكذا نلمس بوضوح أصول «الملامتيه» فى سلوك الامام السجاد، ولكنها عنده مذهب لا يحيد به عن الطريق، فهو يتلمس أسبابا من الظروف المحيطه بحياته يستر بها أعماله، و يخفى بها حقيقه مشاعره العباديه، و يوجه أنظار الناس نحو تلك الأسباب طلبا للكف عن الثناء عليه و تمييزه بين الناس بالشهره، و هو ينآى عن كل سبب مصنوع يستر به العمل أو هدف العمل، فالصناعه طريق شائك تخبط فى ظلماته من جاء بعده ممن أسسوا الملامتيه مذهبا منظما له قواعده، شأنهم فى ذلك شأن كل من حاول برأيه تطوير دين أو ابتداع ما يسميه بالبدع الحسنه، فذلك نهايته المروق و التخبط فى الظلمات. و الآن نعرض لمذهب أهل الملامه فى ايجاز نتبين منه كيف انحرفوا به عن الطريق بعد السجاد. و أقرب النصوص التى توحى بالملامه الى عصر الامام زين العابدين: أن سفيان الثورى خلا مع الفضيل بن عياض فبكيا، فقال الثورى: انى لأرجو أن يكون مجلسنا هذا خير [صفحه ٣١] مجلس جلسناه. فقال الفضيل: ترجو، ولكنى أخاف أن يكون شؤما علينا. و علل الشؤم بأنه تزين كل منهما للآخر بأحسن ما عنده من القول، فعبد كل منهما الآخر من حيث لا يرى. و أقر الثورى فضيلا على رأيه و قال: «أحييتنى أحياك الله». و الفضيل نفسه هو الذى وقف له على باب المسجد جماعه بعض الزهاد من الشبان على باب المسجد، و عليهم الصوف بالكوفه، فخرج عليهم فلما رآهم قال: «وددت أنى لم أركم و لم

ترونی، أترونني سلمت منكم أن أكون لكم ترسا حيث تراءيتم لی و تراءيت لكم؟ لأن أحلف عشرا أني مراء و خادع أحب الی من أن أحلف واحده أني لست كذلك». فهنا ملامح للملامه قويمه المسلك، تنزع نحو البراءه من الدعوى، ولكنها لا تتخذ من الظروف المحيطه بالنفس ستارا حول المواهب الروحيه و غيرها من ألوان التفوق الديني، بل تنزع نحو اتهام النفس علانيه على الصوره التی نراها عن الفضيل بن عياض. و من قبل الفضيل - و هو أقرب الی عصر زين العابدين كان منصور بن المعتمر السليمی الزاهد الكوفی المتوفی عام، ۱۳۲ و كان قد صام أربعين سنه، صام نهارها، و قام ليلها، و كان يبكی الليل فتقول له أمه: يابنی أقتلت قتيلا؟ فيقول: أنا أعلم بما صنعت نفسی. فاذا أصبح كحل عينيه، و دهن رأسه، و برق شفتيه، و خرج الی الناس. و هذا نموذج طبيعی للملامتيه التی تستر الأعمال بما هو مباح من الأعمال و الزينه. فالملامه على هذا: اظهار أدون الأحوال العباديه و كتم معاليها، فليومهم الخلق على ظواهرهم، و يلومون أنفسهم على ما يعرفون من حقائقها. و يفرق الدكتور أبوالعلا عفيفی بين الصوفی و الملامتی فی كتابه «الملامتيه و الصوفيه و أهل الفتوه» فيقول: ان الفرق بينهما: أن الصوفی ينم ظاهره عن باطنه، و تظهر عليه أنوار أسراره فی أقواله و أفعاله، لذلك لا يتحرج الصوفی عن اظهار الدعاوی كالحلاج و غيره. أما الملامتی فحفيظ على سر الله، يكتم فی نفسه ما بينه و بين ربه على عدم التحقق من التقصير. و بعد زمان طويل جاء حمدون القصار المتوفی سنه ۲۷۱ من الهجره، و قرر لطلاب طريقا الی الستر منحرفا فقال: «اذا

رأیت سکران فتمایل لئلاـ تبغی علیه فتبتلی بمثل ذلک». و منه تری تحول الهدف الأصلی للملامه الی هدف آخر أتقاء الاـعتراض علی العصاه، و قد مربنا نقد هذا القول أول هذا الفصل. [صفحه ۳۲] و من مدرسه حمد و القصار انتشر مذهب الملامه کما یقول السلمی الذی وصفه بأنه شیخ أهل الملامه. و من الأمثله التی نراها قد انحرفت بالملامه عن أصولها الأولی التی لمسناها عند الامام زین العابدین، و فتحت أبواب الانحراف للصوفیه تحت ستار الملامه ما روی عن أبی حفص الحداد من تأدیبه مریده أباعثمان الحیری، اذا أودع تاجر من تجار نیسابور جاریه عند الحیری، فوقع نظره علیها یوما فعشقها و شغف بها، فکتب الی شیخه الحداد بالحال، فأمره بالسفر سعیا الی صحبه شیخ یسمی یوسف بالری، فلما وصل الی الری، فلما وصل الی الری وسأل الناس عن منزل الشیخ یوسف أکثر الناس فی ملامته و قالوا: کیف یسأل تقی مثلک عن بیت شقی فاسق، فرجع الی نیسابور وقص علی شیخه القصه، فأمره بالعوده الی الری و ملاقاه الشیخ یوسف. فلم یبال بذم الناس له، وازدرائهم به، فقیل له: انه فی محله الخماره، فأتی الیه و سلم علیه فرد علیه السلام و عظمه، و کان الی جانبه صبی بارع الجمال، و الی جانبه الآخر زجاجه مملوءه من شی ء کأنه الخمر بعینها. فقال له الشیخ أبوعثمان: ما هذا المنزل فی هذه المحله؟ فقال: ان ظالما اشتری بیوت أصحابنا و صبرها خماره، لوم یحتج الی شراء داری. فقال: و ما هذا الغلام؟ و ما هذه الخمر؟ فقال: أما الغلام فولدی من صلبی، و أما الزجاجه فخل. فقال: و لم توقع نفسک فی مقام التهمه بین الناس؟ فقال:

لئلا يعتقدوا أنی ثقه أمن و يستودعونی جوابهم فأبتلی بجهن. فبكی أبوعثمان بكاء شديدا و علم قصد شيخه. من هذه النقطه بدأ انطلاق جديد نحو اختلاق أسباب جديده للتستر هی فی ذاتها محرمه أو مكروهه، كما رأيتا فی القصه السابقه من اصطناع مجالسه المرد، و اصطناع شبيه بالخمر، و قد تطورت تلك الأسباب فی نطاق الملامتيه فأصبح الشاب الأمرد أجنبيا، و أصبح الخل خمرا حقيقيا، بل ان الأمر قد تطور فيما بعد الی فضائح دعت أمثال جولد تسيهر الی أن يقول فی كتابه «العقيده و الشريعه»: انهم كانوا «يهتمون بكل ما يثير السخريه و الفضيحه بمسلكهم، و ما يجر عليهم مذمه الناس لهم، و يرتكبون من الأعمال ما يعد مخجلا للدرجه القصوی يبغون بذلك تطبيق مبدئهم و هو: ازدراء الاحتقار». و قد تطورت الملامتيه بحكم هذا الانطلاق الی طريقه أطلق عليها اسم «القلندريه»، و من شيوخهم قطب الدين حيدر (ت ۶۱۸) و يقول المقريزی: انه أباح لتلاميذه تناول [صفحه ۳۳] الحشيش، و اهمال الواجبات الشرعيه. و يحاول السهروردی التخفيف من الشعور بانحرافهم فيقول: انهم طرحوا التقيد بآداب المجالسات و المخالطات... و ساحوا فی ميادين طيبه قلوبهم، فقلت أعمالهم من الصوم و الصلاه الا الفرائض... و ربما اقتصروا علی رعايه الرخصه، و لم يبالوا بحقائق العزيمه». و النظر الدقيق فی سلوك أكثر متصوفه عصرنا الحاضر يعطينا حقيقه هامه هی: أنهم يتمسحون بمذهب أهل الملامه و يفسقون عن دين الله بحجه ستر الأعمال و الأحوال. حقيقه ان فيهم أقواما فضلاء أخلصوا دينهم و أعمالهم لله، ولكن بينهم كثيرا من الأدعياء، و من هؤلاء الأدعياء جهلاء يختلط رجالهم بنسائهم، بل و قد يجمعهم فراش واحد، و منهم من

مسخ هيئته و ملبسه حتى يصير مثيرا للضحك و السخريه. و منهم عالمون بأحوال الطريق دارسون لطقوسه، سالكون فى ظاهر الأمر لدراجاته، ولكنهم رغم ما يسحر مجالسهم من سماع أحسن القول فى مقامات الطريق فاقدون للأمانه، يتخذون علمهم وسيله لكسب الدنيا تحت ستار ثقه الناس فيهم، و باسم أهل الملامه. من هنا تأتى أهميه الامام السجاد فى تخطيطه الواضح الذى لا- يحتمل التطوير و لا- التجديد لأصول الملامه و وسائلها الشرعيه التى يتحتم أن تؤخذ بحذر ودقه و فحص بحيث لا يخرج الملامتى عن واقع بيئته و لا واقع شريعته فى شى ء. فاذا كانت «الملامه» ضروريه لاحتفاظ الانسان المؤمن الصادق الاراده بسريه أعماله، و سريه هدفها الموجه نحو الله تعالى وحده، فان الوسائل الموصله اليها لابد أن تكون من واقع حياه الانسان العابد الراغب فيها كما كان عليه الامام السجاد، و اما أن تكون وسائل شرعيه بحته كالفقه و روايه الحديث كما كان عليه المخلصون من أئمه السلف من أمثال الثورى و مدرسته، و اما أن تكون عملا اجتماعيا يفصح عن حقيقه الاخلاص، و حقيقه الاراده كما كان يفعل ابراهيم بن أدهم، اذ كان يعمل حصادا، و حارسا للبساتين، ثم يعود بما زاد عن الضروره من أجره على اخوانه و على أهل العدم و المسكنه من المسلمين. أما أن يصطنع الملامتى أسبابا أخرى تكون مظنه للفسوق و المعصيه فهذا هو الانحراف بعينه. فالعقل و المنطق لا- يقر الوصول الى الطاعه بما يشبه المعصيه، أو بما يشجع الجهلاء على المعصيه، و الأصول التى سار عليها السلف لا تؤيد تلك الأعمال البلهاء التى تساعد على التفلت من قيود الشريعه السمحه. [صفحه ۳۴] على أن سلوك أهل

الملامه فی ذاته لا تمس الحاجه الی اصطناعه ان لم یکن من طبیعه حیاه الانسان سبب ساتر للعمل، أو کان فی استعداد السالک میل الی درس العلم و الفقه مثلا. فهو مذهب کما رأینا کان سریع الانحراف بأهله فی عصر قریب من عصر النبوه، فما بالنا فی عصرنا الحاضر و قد بعد العهد بعصر النبوه، و انحلت الهمم عن درس سیر السلف؟ لقد کان السلف یصطنعون الملامه مذهبا لستر أرفع الأحاسیس و أرضاها لله تعالی، فأصبح المحدثون یصطنعونها لستر أقبح الکبائر، و أدون الأخلاق و اسخطها لله تحت ستار دعوی التصوف، و التشدق الممقوت بالمنازل و الأحوال. و لقد مضی الامام السجاد فی بیان أهداف الملامه بالسلوک العملی و القدوه الحسنه الی حد الاشاره الی حال من أحواله جاء عفوا و دون عمد منه، بل ساقه القدر الیه لیکون فارقا بین ملامتیه القرن الأول و ملامتیه القرن العشرین و من قبل العشرین. روی الذهبی فی تذکره الحفاظ أنه سقط ابن للامام السجاد فی بئر ففزع أهل المدینه کذلک حتی أخرجوه فکان قائما یصلی فی المحراب فما زال فی مکانه. فقیل له فی ذلک فقال: ما شعرت، لأنی کنت أناجی ربی. و قد یشک بعض المحدثین فی مثل هذه الروایه، و نقول: انه شعور موروث عن النبی صلی الله علیه و سلم، فقد روت عائشه رضی الله عنها أنه صلی الله علیه و سلم کان یکون فی أهل بیته، فاذا سمع الأذان مضی و کأن لم یعرفنا. کما تواترت الروایات عن سجود النبی صلی الله علیه و سلم وقتا طویلا غیر مألوف، کما جاء عنه صلی الله علیه و سلم أن له وقتا لا یسعه فیه غیر ربه.

فتلك فترات من حياه الأطهار تنقطع الصله تماما بينهم و بين العالم المحيط بهم فلا يشعرون الا بسلطان الهيبه الالهيه يسيطر على كل جوانبهم، و على جميع مداركهم فلا يحسون بشى ء الا بما هم فيه من جلال المناجاه. على أن الروايات تقول: ان عروه بن الزبير مرض وقرر الطبيب بتر عضو من أعضائه فاختار الصلاه عملا يقوم الطبيب فيه بمهمه أثناء تأديته لها، و قطع الطبيب ما أراد و لم يشعر عروه. فان صح أولم يصح هذا الخبر فهو دلاله واضحه على أن فى السلف من كان يغيب عن كل شى ء و هو يناجى ربه، و كفانا هذه الحقيقه حجه على صدق تلك الموهبه و وجودها لدى أهل بيت النبوه، ولكنا نشك مع الشاركين فى عمومها و انسحابها على هذا العصر الذى نعيش فيه الا فى حالات فرديه لا تتكرر الا بين أجيال و أجيال. [صفحه ۳۵] و نعود الى بحثنا فنرى أن الامام السجاد كان يصطنع الملامه، فينسب بكاءه الى فقد الأحبه ليخفى أمثال تلك المشاعر التى تلونه بالجلال، و تمكنه من مقامه فيبكى، و كفاه أن يكون بكاء من البكائين، و لم يشتهر فى عصره بأنه من أهل المقامات العليه فى عبادته. و لا تتردد فى القول بأنه انما أفصح عن دخيله أمره فى هذه الواقعه تعليما لمن حوله، و تنشيطا لهممهم التى كانت تشدها الأرض الى ترابها، و تعليما للمسلمين على مدى العصور فى هذا الصدد، و قد شاءت الأقدار أن تكون تلك الواقعه كذلك حقا يدفع باطل المدعين فى عصرنا الحاضر، و ميزانا يوزن به مدعى الملامه الفاسق، و المتحقق بها على هدى من ربه، فهو الميزان الذى لا يخطى ء. و

الحق أننا لا نجد بين المدعين فی عصرنا لمذهب أهل الملامه من يفتقد أتفه شی ء مما يملک أثناء غيبته المصنوعه عن الخلق دون أن يتحول على الفور الى وحش كاسر فی مواجهه منسلبه هذا الشی ء التافه. بل انه قد يتستر بالملامه من كبائر سيطرت على كيانه، و نفاقا للناس ليحسنوا الظن به، و وسيله لاقتناص أموالهم و أعراضهم تحت هذا الستار. و من هنا تأتی أهميه سلوک الامام السجاد فی تحقيق مذهب أهل الملامه و تحقيق وسائله الشرعيه، و التفرقه الصحيحه بين أهل الملامه الحقيقيين، و بين «قلندريه» العصر من أهل الفسق و الفجور و النفاق. [صفحه ۳۶]

مواهب روحيه

قلنا فی الفصل السابق: ان الامام السجاد كان متفوقا فی مواهب الروح بحكم وراثته، و بما حباه الله تعالی به من عقل راجح، و توفيق الى طريقه حتى صار أفضل آل البيت، و أفضل هاشمی على الاطلاق. و مواهب الروح تختلف عن المواهب المألوفه لدى عامه المفكرين و الأذكياء، لأنها ترتاد الآفاق المجهوله للعقل و الحس، و ترتد من رحلاتها فی مجاهلها الى عالم الكون المنظور تسلک بصاحبها فيه سلوكا يبدو فی أنظار الناس شاقا على النفس، لا يقوى عليه جمهورهم، ولكنه فی الحقيقه مصدر سعاده و رضی لسالكه لا يدركهما الا مجرب. و مواهب الروح تنبع أولا من معنى الاسلام، تبدأ منه، و تنتهی اليه فی ظاهر الأمر و حقيقته على السواء. فالبدايه من معنى الاسلام فی ظاهر الأمر بالاذعان و الاستسلام المطلق لكل ما يرد من الغيب من أمر الهی، و كل ما علم عن رسوله صلى الله عليه و سلم من سنن و تفسيرات لأوامر الله تعالی، ايمانا بها و تصديقا لها،

و تنفیـذا عملیـا مقترنا بالاقتناع بها و حبها دون تـدخل من جانب النفس أو العقل بالاعتراض أو بالتفضـیل لمسـلک دون آخر. و البدایه من معنی الاسـلام فی حقیقه الأمر نعنی بها الاقتناع بجدوی دستور الغیب فی ترقیه النفس، و صفاء القلب، و المسارعه الی العمل للاستزاده من تلک الآثار التی تنمو بموالاه العمل، و الحرص علیه و التسابق الیه، دون شعور بالکلفه و لا المشقه المصاحبه له فی بعض الأحوال. تلـک هی بـدایه الوعی الروحی من معنی الاسـلام، و هی کمـا نری ذات وجهین: عمل فی استسـلام دون اعـتراض، و شـعور وزون لروح العمـل یکون معه الحرص علیه و حبه و الیقین بمـدواه علی الانسـان. أمـا نهـایه الوعی الروحی و مواهبه فهی کـذلک لا تخرج عن معنی الاسـلام فی الظاهر و الحقیقه کبدایته تماما مع اختلاف فی الذوق و الاحساس. فهی فی ظاهر الاسـلام: استسـلام کامل لمراد الله، و رضـی بما یجری من قدره، و شـعور [صفحه ۳۷] بالسـعاده من هذا الذی یجری من القـدر سواء أکان مما یعده الناس نعمه، أو مما یسـمونه نقمه، فالکل سواء، لأن الشـعور قد تسامی عن عالم الأسـماء، و ثبت عند منبعهـا فلاـ یری فیه الاـ حکمه بلیغه تصـدر علی صوره بلاـء فی اطار نعمه، أو علی صوره نعمه فی اطار نقمه، و مادام نبع القـدر خیرا کله، فکـل مـا یجری منه خیر کله. و النهـایه فی حقیقه الاسـلام هی: القـاء الانسان نفسه و کل مـدارکه، و اطراحها جانبا، و التعرض لنفحات الله تعالی فی أیام الدهر، و اصـغاء السـمع بالقلب الی الصمت الرهیب فی عالم الغیب، و فی هذا الصمت تتوالی التجلیات الالهیه فی مراتب تنزلها الی

عالم المشـهود جلالا تصـطلم له القلوب، و تغنى عنـده المشاعر و المـدارك، و ينبع فجأه شـعور واع بالعظمه لا يدركه أحد غير أصـحاب المـواهب الروحيـه. و لتقريب وعى الروح الى العقـول نتصـور انسانـا يقـف أمـام محكمه عليـا يمكن أن تصـدر حكما باعـدامه أو بحبسه الانفرادى مـدى الحياه، فهل تجـد لـدى هـذا الانسان بقيه من شـعور يوجهها نحو نزهه خلويه مثلا، أو سـهره صاحبه على غرار ما يفعل الطليق من القيد خارج قاعه المحكمه؟ و هل تجد شـعور هذا الذى يقف أمام المحكمه مساويا لشعور الذى صدر عليه حكم الاعدام بالفعل؟ و هل تجد شـعور هذا المحكوم عليه بالاعدام مساويا لنفس شعوره و هو يساق الى ساحه التنفيـذ؟ تلك مراحل ثلاث تختلف فى درجات التخلى عن المشاعر البشـريه حتى تصل الى حال النهايه التى ينـدثر فيها الشـعور بالبشـريه و نوازعها تماما و لا تبقى الا معاينه المجهول، و التردد فيه بين الخوف و الرجاء، لا يجـد مسـتقرا على أحد الوجهين، لا لشـى ء الا لأن مصـدره مجهول مع أنه معلوم بـالقلب، و من هنا تكون الحيره بين الخوف و الرجاء مساويه للحيره بين الجمال و الجلال المعلومين من تجليـات الغيب الأقـدس. و كان الامام زين العابـدين على درجه عاليه من التفوق فى مواهب الروح أثرت فيمن حوله و فيمن بعـده، و لا زالت تؤثر الى الآن فى الملايين من محبيه و هم فى غالب الحال على جهل كامل بسـيرته، و يبدد ذلك من اسـتعراض عالم لمعالم زين العابـدين فى قلوب المسـلمين جاهلهم و عالمهم، فانك لا تجد الا اكبارا و اجلالا و وقوفا عند ذكراه فى على مدى أثر الروح اليقظ الواعى فى الناس عبر العصور. [صفحه ۳۸]

أما دراويش الامام القابعون حول مسجده فى القاهره فهم دلاله - مع جهلهم - على مدى ما بلغ الامام من مواهب الروح و التمكن فى أحوال العباده و مقاماتها، و لا نقول: انهم علماء عارفون بمدى تفوق الامام الروحى، بل نقول: ان ما تواتر من أخبار تفوقه قد تناقله المولعون بسيرته حتى وصل الى هؤلاء المرتزقه مشوشا مهزوزا، ولكنه على هذا التشوش دلاله تشبه تماما دلاله أقوال التراجمه الشعبيين على قيمه الآثار و تاريخها حينما يواجهونك متحدثين عنها فى منطقه الأهرام مثلا. و سنحاول التدرج من تقييم كبار العلماء له فى مواهب الروح، الى استنباط بعضها من وقائع حياته، الى تقييم العامه لمواهبه حتى ندرك المدى البعيد الذى أثرت به مجتمعات الاسلام من تأثير الامام فيها. فاجماع علماء العصر و نقاد الرجال فيه على أنه أفضل بنى هاشم على الاطلاق فى زمانه. قال يحيى بن سعيد: سمعت على بن الحسين و هو أفضل هاشمى أدركته يقول: أيها الناس، أحبونا حب الاسلام، فما برح بنا حبكم حتى بغضتمونا الى الناس. و قال سعيد بن المسيب، و زين بن أسلم، و مالك، و أبوحازم: «لم يكن فى أهل البيت مثله». و كان الزهرى يقول اذا ذكر على بن الحسين: «هو أقصد أهل بيته و أحسنهم طاعه». و كان هو و أبوحازم يقولان: «لم نرى هاشميا قط أفضل من على بن الحسين». و قال الزهرى أيضا: «كانت أكثر مجالستى مع على بن الحسين، و ما رأيت أفقه منه، و كان قليل الحديث، و كان أفضل أهل بيته و أحسنهم طاعه». و قال رجل السعيد بن المسيب: ما رأيت أورع من فلان. فقال سعيد: هل رأيت على بن الحسين؟ قال: لا. قال: ما

رأیت أورع منه. تلک بعض شهادات کبار العلماء و أشدهم تحفظا و أنقدهم للرجال فی الامام السجاد، و کلها تجمع علی أنه أفضل أهل بیته، و أهل بیته أفضل الناس علی الاطلاق، کما تجمع علی تفوقه فی الورع و الفقه و الطاعه. و الورع - و هو من واهب الروح - یعنی ترک جمیع الشبهات التی لا یقطع الفقه بحلها و لا بحرمتها، و العدول عنها الی الحلال الخالص الذی لا شبه فیه. و لئن کان العامه من العلماء لم یقطعوا بعصیان من تناول الشبهه اذا غلب علیها الحل، فان الموهوبین [صفحه ۳۹] روحیا لا یتناولونها ایثار المرضاه الله، و خوفا من الذلل فی جانبه تعالی، و حرصا علی طهاره الجسد اللازمه لقبول الأعمال و الافاده منها. کان الامام فی مکانه من آل بیت رسول الله صلی الله علیه و سلم یستطیع أن یسخر المجتمع لقضاء حاجاته، و کان یمکنه أن یعیش حیاه رغده لو أنه قبل ما یرجو الناس قبوله من صلات باعتباره من آل البیت النبوی، ولکنه لم یفعل تورعا عن شبهه الحرام الکامنه فی استغلال الجاه النبوی فی احراز وسائل الانتفاع. و یقول جویریه بن أسماء فی روایه ابن کثیر فی البدایه و النهایه: «ما أکل علی بن الحسین بقرابته من رسول الله صلی الله علیه و سلم درهما قط». و الامام یعتبر الورع نهایه الزهد حین یقول: «أعلی درجه الزهد أدنی درجه الورع». و یتدرج فی التعریف بمقامات السلوک من الورع فیقول: «و أعلی درجه الیقین». فالذی یبلغ نهایه الورع یتحرز من أشیاء قد لا یتحرز منها الکثیرون من فضلاء أهل الدین، و ذلک کالتحرز من المیراث الشرعی اذا وجدت فیه شبهه، و التحرز

من أخـذ سـهام الغزو فی سبیل الله ایثارا لاخلاص العمل لله وحده. و لا یصل الی هذه الدرجه الاصاحب یقین یعاین غیر المنظور و کـأنه شـهود من أمر الثـواب و العقـاب و الهیبه لله و عظیم أمره. ثم یقول الامـام: «و أعلی درجه الیقین أدنی درجه الیقین أدنی درجه الرضـی»، لأن الشـهود اذا قوی و شمل غیر المنظور کله. و دق العلم به فلابد أن یدفع الانسان الی الرضا بکل ما یجری من القدر، و اعتباره خیرا من حیث تعجز البشـریه عن التمییز بین الخیر و الشـر. و ینتهی الامام فی بیان مقامات السـلوک قبل أن یبرز الصوفیه الی الوجود فیقول مؤکـدا الاـ وجوب البراءه من الحول و القوه و النـاس و کـل مـا فی الیـد و مـا یتیحه الجهـد من قضاء الحاجات المصالح، و یؤکد أن هذا السلوک یرفع العوائق من الطریق بین العبد و ربه، و یؤهله لولایه الله تعالی لأمره، و الاستجابه له فی کل أموره، و ذلک حین یقول: «رأیت الخیر کله قد اجتمع فی قطع الطمع ما فی ایدی الناس، و من لم یرج الناس فی شـی ء ورد أمن الی الله عزوجـل فی کـل أموره اسـتجاب الله له فی کـل شـی ء». بقی أن نقول: «ان الامام قـد بلغ فی الیقین و الرضـی مبلغا یعتبر بحق من أسـمی و أعلی ما وصل الیه بشـر فی هذا المضمار. أما الرضا فیتجلی فی مقابلته للسیئه بالحسنه علی صور غیر مألوفه للکثیر من الناس [صـفحه ۴۰] سـنتحدث عنهـا ان شـاء الله فی أثناء الحـدیث عن أخلاقه، و نشـیر هنا الی حال من أحوال الرضی بناه الامام علی الیقین تحقیقا لرأیه السابق فی مراتب

السلوک، و ذلک أن رجلا قد أساء اليه، فمکن الخليفه الامام من خصمه فلم يعرض له، فقال له ابنه عبدالله: يا أبت لم لا نتعرض له، و ان أثره عندنا لسیء، فقال: «يا بنی نکله الی الله، فوالله ما عرض له أحد من آل الحسين بحرف الا تصرم أمره». و لا شک عند أهل الفقه فی جواز القصاص من المعتدی بمثل ما اعتدی به، ولکن الامام حينما بلغ أعلی درجات اليقين شاهد عيانا ما عندالله لأهل الصفح و المغفره، فآثر الرضی بما جری لأن شهد ما فی الصفح من خير أبهمه القرآن الکريم لجزالته و عظمته حتی لا تطيقه العبارات، و ليس أدعی الی تصرم الأمر حقا من الارتداد عن الدرجات العليا الی الدرجات الدنيا من خلائق القرآن و آدابه. و من معالی يقينه ما أجمعت عليه الروايات من أن الامام کان اذا فرغ من وضوئه للصلاه و صار بين وضوئه و صلاته أخذته رعده و نفضه، فقيل له فی ذلک، فقال: «ويحکم، أتدرون الی من أقوم، و من أريد أن أناجی»؟ فهو کما نری يشهد ما بعد الوضوء من المناجاه الموجهه الی الله شهودا يقرب من درجه العيان و ان کان عيانا بالقلب و الهمه، و من ذا الذی لا يرتعد و ينتفض اذا أيقن بموقفه من ربه فی الصلاه؟ و ان الرجل العادی لينتفض و يرتعد الا اذا وقف بين يدی ولاه الأمر، فما الحال و الموقف بين يدی الاله القاهر فوق العباد؟ ولکن المسأله هی: الغفله، أو اليقين. و منه واقعه سقوط ابنه فی البئر، و عدم شعوره بما جری حتی أنقذه الناس و قد رويناها من قبل. و روی ابن کثير أن

البيت الذی هو کان قد احترق و هو قائم یصلی، فلما انصرف قالوا له: مالک لم تنصرف؟ فقال: انی اشتغلت عن هذه النار بالنار الأخری. و روی أبونعیم و ابن کثیر: أن الامام سمع ناعیه (و فی روایه ابن کثیر داعیه) فی البیت و عنده جماعه، فنهض الی منزله ثم رجع الی مجلسه، فقیل له: أمن حدث کانت الناعیه؟ قال: نعم، فعزوه و تعجبوا من صبره، فقال: «انا أهل بیت نطیع الله فیما نحب، و نحمده فیما نکره». و تلک قمه الرضی لا یدرکها الا أهل البیت النبوی و السائرون علی هداهم، هو: [صفحه ۴۱] بذل المحبوب الذی تتعشقه النفوس، و تحرص علی اقتنائه من مال و ولد و متاع، و محوه من القلب اذ أراده الله، و السرور بکل ما تنفر منه النفوس من بلیته أو محنه فی مال أو ولد، و مقابله هذا الفقد بالحمد و الشکر علی ما یقابله من نعیم موعود مشهود بعین الیقین. و هذا الیقین علی هذه الصوره لیس رجاء کله، ولکنه کما یغلب علیه الجلال و الخوف فی کثیر من الحالات، لا سیما عند أداء الفرائض التی یخشی الموقنون ألا تقبل لما یعتورها من تقصیر قائم علی اتهام النفس. و من هنا قد یتردد الموقن بعامل الخوف و یضطرب أمره حین أداء الشعائر، و ما هذا الاضطراب الا دلاله علی قوه الیقین، و قوه المشاهده معا. قال طاووس بن کیسان: لما حج علی بن الحسین أراد أن یلبی، فارتعد و قال: أخشی أن أقول: لبیک، اللهم لبیک، فیقال لی: لا لبیک، قال: فشجعوه علی التلبیه، فلما لبی غشی علیه حتی سقط عن الراحله. و ما کان ذلک الا عن شهود قلبی

على وجه اليقين من اجـابه الله تعـالى له بما أذهله عن وجوده من أنواع الملاطفات و فيض الحب، و ان المرء لتساوره الغشـيه من تذكر و تأمل، فما بال أهل اليقين و الشـهود؟ و الشـهود هو القرب، و القرب قمه مواهب الروح. و القرب هو اختصار الوسائل فى ادراك غير المنظور على صـوره مـا من صور الادراك، و كلمـا قلت وسائـل الادراك علت الـدرجه فى مقـام القرب، و اشـتد الاحسـاس بالمشـهود، و تسـارع وعى الروح الى الاسـتجابه لأمور الغيـب. انـه سـقوط الحجب الـتى تحجب القلب أو الروح عن الشـعور بالحقـائق المتجليه فى مظـاهر الحياه، فتلك الحجب تصـد فيض النور الفائض من الغيب المطلق عن الوصول الى القلب، فيبقى القلب مظلما، و لا يفيـد وقوع النور على حجب النفس الممثله فى الأهواء و الشـهوات و عقد القلب على حب الماديات. و لتقريب الفهم نقـول: ان القلب الفطرى مضـى ء بطبعه، مسـتعد لتلقى الأنوار الفـائضه من الغيب فى سـرعه و وعى وفقه عميق، و الـذى يحجب القلب عن عمله، أو يبطى ء منه هو تعلقه بالمظاهر الماديه حبا و عشـقا على أى صوره من صور الحلال أو الحرام، ولكن [صفحه ۴۲] اتعلق بالحلال يدعه محجوبا، أما التعلق بالحرام فيدعه أغلف أضم فاقدا لطبيعته المنيره الواعيه. و كلما كثرت الحجب انعـدمت اسـتجابه القلب للظواهر الروحيه الغيبيه، و كلما قلت الحجب أبطأت اسـتجابته لتلك الظواهر، فاذا انجابت تلك الحجب بعامل المجاهده و التطهير، أو بعامل الطبع و الاسـتعداد فان الانسان حينئذ يصبح موهوبا فى عالم الروح، يدرك الحقائق من حيث لا يـدركها المحجوبون، و يتفاعل معها فى سـرعه من حيث يبطى ء المجاهـدون لازاحه الحجب. و من هنا كان ارتعاد فرائض

السـجاد و هو يسـتعد للصـلاه، و كانت صـرعته حين التلبيه، فهو صاحب قلب نقى صاف طاهر من الدنس يدرك آثار الغيب فى كل موجود فيزداد فقها و علما، و يواجه الغيب فيرتعد أو يصعق، و هى وراثه نبويه معهوده فى طبائع النبى محمد صلى الله عليه و سلم لاـ تخفى على دارس. و من هنـا كـذلك كان تقييم العامه للامام صـدى لما كان معهودا فيه فى حياته على صوره من صور المجـاز أو الحـق، فهـو فى نظرهم بـاب الأسـرار، و هم كمـا يقولـون كلاـب على بـاب على. هو بـاب الأسـرار لأـنه رجـل الروح الموهوب فى عالمهـا، يـدرك مالاـ يـدركه العامه، و يشـهد مالا يشـهده المجاهـدون. و هم كلاب على بابه فى صوره من صور الاخلاص المعهوده فى الكلب، يقيمون على بابه رغبه فى الاسـتهداء بهديه، و تقليده فى سلوكه كما كان الشأن فى مريدى العلم و السـلوك فى الصـدر الأول. و الى جانب هـذا و ذاك هو باب الكرم، يقصـده طلاب الرفد فى العصـر الحاضـر كما كان يرجو رفده العفاه فى حياته، و ما أعجب أن تحيا الخلائق بعد وفاه الامام فيعيش الآلاف على العطاء المبذول عند مسجده حبا فيه، كما كان يعيش الناس على عطائه الشخصى فى حياته. أليس ذلك من مواريث الصدق فى السلوك، و أثره الفعال من عالم البرزخ؟!
[صفحه ۴۳]

عالم أهل البيت

كـان العلم من خصـائص أهـل البيت، فكـانوا مرجع الخاص و العام فيه بحكم البيئه التى عاشوا فيها، و بحكم القـدوه العمليه التى نشأوا عليها منـذ نعومه أظفارهم. و كان الامام السـجاد أفقه أهل زمانه، و شـهد بـذلك الامام الزهرى الـذى كان يـدمن الجلوس اليه، و يفيد من علمه الغزير. و

الاجماع على أنه كان قليل الحديث، و كان ثقه مأمونا عاليا رفيعا فى الاسناد. أما قله حديثه فترجع الى أنه لم يكن بحاجه الى الروايه و تتبع الحديث لأنه ربيب السنه، و شاهد أصولها فى سلوك أبيه و فى سلوك الصحابه الذين شهدهم، و فى سلوك أمهات المؤمنين. كان قد روى الحديث عن أبيه الامام الحسين بن على رضوان الله عليهم، و عن عمه الامام الحسن بن على، و عن ابن عباس و المسور بن مخرمه و أبى هريره و جابر و صفيه، و عائشه، و أم سلمه، أمهات المؤمنين رضى الله عنهم جميعا. و روى عنه جماعه منهم: بنوه زيد، و عبدالله، و عمر و أبوجعفر الفقيه محمد بن على، و من غيرهم: زيد بن أسلم، و طاووس بن كيسان، و الزهرى، و يحيى بن سعيد الأنصارى و غيرهم. و يقول أبوبكرن أبى شيبه فى جوده سنده: «أصلح الأسانيد كلها: الزهرى عن على بن الحسين، عن أبيه عن جده». و كان العصر غنيا بالفقهاء الذين كانوا يرجعون اليه، و يتبعون فتاواه فى المعضلات. و من عجيب الأمور أن كثيرا من الفقهاء الكبار ماتوا فى السنه التى مات فيها شيخهم على بن الحسين، حتى أطلق المؤرخون على تلك السنه «سنه الفقهاء»، و منهم: سعيد بن جبير، الذى قتله الحجاج، و سعيد بن المسيب، و طلق بن حبيب الغنرى، و عروه بن الزير، و أبوبكر بن عبدالرحمن بن الحارث. و كان زين العابدين رغم جلاله قدره فى العلم، و سيادته و شرفه بين العرب لا يأنف من تتبع مصادر العلم الأخرى، فيجلس الى غيره متعلما أو مستفيدا لا يجد فى ذلك [صفحه ۴۴] من القصاصه ما يجده الكثيرون من علماء

العصـر الحاضر المحدثين. و كان الامام كما قلنا من قبل و نقول الآن: ذا سلوك هادف فى جميع الميادين، يريد لنفسه منه خيرا، و يقـاوم به شـرا قـد ذاع بين الناس، أو مبـدأ تبناه خلفاء بنى أميه، و يـذكر الجمهور بتعاليم الاسـلام التى كادت تضـيع بين تلك البدع الجاهليه. كان - كما قلنا - لا يرى القتال مجديا، و ذلك لضعف الوازع الدافع الى الجهاد فى سبيل الله، وقوه الوازع الدافع الى اجـابه مطالب النفس، و لـذلك كان ينهى أهل خراسان و غيرهم عن القتال حينما كانوا يشـكون اليه المظالم التى ينزلها بهم حكام بنى أميه، و مع ذلك كان يرى أن احياء مبادى الاسـلام بالقدوه الحسـنه، و الجهر بالسـنن و الآداب الاسـلاميه فى مواجهه الانحراف عنها قوه لا تقل بلاغه عن السـيف كان - يرتاد مجلس عبدالله بن عباس كثيرا للافاده من علمه، و كان ابن عباس يحبه حبـا شديـدا، و يروى اسـحق بن الغيرار بن حريث: أنه كـان عنـد ابن عبـاس، فجـاء على بن الحسـين، فقـال له ابن عباس: «مرحبا بالحبيب ابن الحبيب». و ليس فى مجالسـته لابن عباس غرابه، فهو هاشـمى له مكانته فى العلم، و مقامه بين الصحابه، و منزلته من رسول الله صـلى الله عليه و سـلم، ولكن الغريب الـذى يسـتحق الانتبـاه هو قصـده الى مجـالس الموالى و العلماء، و اصـراره على اعلاـن سـلوكه هـذا مع هؤلاـء العلمـاء، فمـا ذا كان هـدف الامام من ذلك؟ كان الأمويون يحتقرون الموالى ولو كانوا علماء، و كانوا يسلكون معهم مسلكا مجافيا لظاهر أحكام الاسلام و لروحه معا، و كانوا يرغمونهم على الحرب رجالا، و غيرهم من العرب يحاربون ركبانا، بل ان الحجاج قد اقتضى الجزيه من مسلمى الموالى بعد اسلامهم،

و كان الجهل قد بدأ يسيطر على الخلفاء و على أبنائهم، حتى لقد روى الشعرانى و غيره: أن سليمان بن عبدالملك جلس الى عطاء و كتب عنه المناسك ثم التفت الى بنيه و قال لهم: «تعلموا العلم، فانى لا أنسى ذلنا بين يدى هذا العبد الأسود». و من المصادقات الغريبه أن كبار العلماء فى ذلك العصر كانوا من المولى: كالحسن البصرى، و طاووس، و سعيد ابن جبير، و غيرهم. و كان السلوك الأموى ازاء العلماء من غير العرب شائنا، اذ كان يهدد باندثار العلم، ويؤثر الأرستقراطيه على شرف العلم، و يفرق بين أبناء الدين الواحد، و يبعث [صفحه ۴۵] العنصريه من مكمنها: حتى تحولت فيما بعد الى شعوبيه كان لها آثار سيئه على بناء الدوله و وحدتها. لذلك كان الامام يرى: أن قدر الانسان فى علمه و سلوكه، مولى كان أم حرا، قرشيا كان أو فارسيا، فالاسلام هو الأصل الذى محى الفوارق العنصريه، و قبر الأرستقراطيه الماديه، و علا على كل القيم الجاهليه و غير الجاهليه التى لم يقرها قانون السماء. و نفذ الامام السجاد ما آمن به، و جلس الى غير العرب من العلماء متعلما و مستفيدا، و قصد من ذلك فوق احياء أصل اسلامى هام هو المساواه بين الجميع فى الحقوق، و اعتبار العلم و التقوى مقياسا للفضيل دون سواهما، قصد الى جانب ذلك أن يصفع الشيعه الذين كانوا يرتفعون بالأئمه فوق المستوى البشرى، و يرون أنهم مصدر العلم، و العلم كله امداد منهم و فيض، و تلك فريه أشد ضررا على الاسلام من التفرقه العنصريه، اذ أنها تفتح بابا للغرائب و العجائب و الأساطير التى تنسب الى الأئمه فى مجال العلم و المعرفه.

و كـان هنـاک اعتراض على الامـام السـجاد من الخلفـاء و عمـالهم، و من النـاس بوجه عـام فى مجالسـته للعلمـاء من الموالى، و الاستماع اليهم، ولكنه لم يأبه لتلك الاعتراضات، بل أخذ يرد عليها بما يعيد المعترضين الى الصواب من أصول الاسلام و آدابه. لامه نافع بن جبير كما يروى أبونعيم فقال له: غفر الله لک، أنت سـيد الناس و أفضـلهم، تجلس الى هذا العبد فتجلس معه؟ يعنى زيد بن أسـلم، فقال الامام: «ان هذا العلم ينبغى أن يتبع حيث كان». و كان يبدو من سـلوک الامام هنا ما يشـبه التحدى، و يروى محمـد بن عبـدالرحمن المـدينى فى ذلـک: أنه كـان يتخطى حلق قومه حتى يأت زيـد أسـلم فيجلس معه، ثم يقول للناس: «انما يجلس الرجـل الى من ينفعه فى دينه». و كـان يجلس الى مولى عمر بن الخطـاب فقال له رجل قرشـى: تـدع قريشا و تجلس الى عبد بنى عدى؟ فقال الامام: «انما يجلس الرجل حيث ينتفع». و بهذا السـلوک الاسـلامى الأصيل استطاع الامام أن يرتفع بالعلماء الى أماكنهم التى أقرها لهم الاسـلام، كما استطاع أن يحتفظ بتراث هؤلاء العلماء بعد ما كادت عنصريه بنى أميه أن تقضى عليه، و تقضى على الكثير من آداب الاسلام معه. و من يدرى ماذا كان يحدث لو لم يفعل الامام ما فعل؟ أليس من الجائز أن يكون [صفحه ۴۶] الاسـلام هو ما يقرره الجهلاء من مبادى ء تخـدم أهواءهم بعـد أن تنجح الدعايه و وسائل الاعلام الأمويه فى احتقار مصادر العلم غير العربيه، بل و غير القرشـيه، ثم غير الأمويه ان وجـدت سبيلا خاليا من العوائق لنشـر تلک الـدعوه الخبيثه؟ بل ان هذا هو الذى يؤكده واقع بنى أميه، و

تصـرخ به عواطفهم، ولكن زين العابـدين اسـتطاع بـالحكمه أن يوقف هـذا التيـار المـدمر، و أن يجعـل من نفسه درسا لغيره من الطلاب يردد على مدى العصور: ان العلم يجب أن يتتبع حيث كان مصدره، دون نظر الى عربى أو غير عربى، فالعنصـريه مخالفه للاسـلام ولو كان هوى الخلفاء معلقا بها، فالاسـلام يحكم الخلفاء، و ليس لخليفه أن يحكم الاسـلام. و فى المجال الشيعى روى الأعمش عن مسـعود بن مالك قال: قال لى على بن الحسين: أتستطيع أن تجمعنى على سعيد بن جبير؟ فقلت: ما تصنع به؟ فقال: أريـد أن أسأله عن أشـياء ينفعنا الله بها و لا ننقصه، انه ليس عندنا ما يرمينا به هؤلاء، و أشار بيده الى العراق. بل لقد كان رضـى الله عنه يفعـل أحيانـا مـا يفعل الطالب البادى ء، فيسـعى الى العلماء، و يجلس كما يجلس الطالب، و ينتظر حتى ينتهى الشـيخ من شأنه، يريـد بـذلك أن يضـرب المثل الأعلى فى الأدب بين يدى العلماء. روى ابن سـعد أن الامام زين العابدين جاء الى عبيدالله بن عتبه بن مسـعود يسأله عن بعض الشى ء، و أصحابه عنده و هو يصلى، فلما قضى صلاته أقبل عليهم فقال له أصحابه: ابن بنت رسول الله صـلى الله عليه و سلم جاءك لسألك عن بعض الشى ء، فلو أقبلت عليه فقضيت حاجته ثم أقبلت عليما أنت فيه؟ فقال: أيهات، لابد لمن طلب هذا الأمر أن يتعنى. و تلك ثمره من ثمرات جهد الامام فيرفع معنويات علماء العصر، فعبيدالله يعلم كغيره من العلمـاء أن زين العابـدين له من العلم مـا ليس لهم، ولكنه قـد يحتـاج اليهم فى روايه السـنه بعض الحـاجه، ولـو أنه بعث الى أحدهم لجاءه يسعى اعترافا بفضله، و عرفانا لقدره،

ولکنه کـان حریصـا کل الحرص علی الاحتفاظ باحترام العلماء و مکانتهم بین الناس حتی لا یمتهن العلم بامتهان العلماء. و کان الامـام زین العابـدین حریصـا کـل الحرص علی رعایه طقوس معینه لمجالس العلم قوامها و مرجعها السـنه التی وردت عن النبی صلی الله علیـه و سـلم، و هـدفها التمـاس برکه المجلس و حسن [صـفحه ۴۷] التوفیق للافـاده، و احیاء للقرآن، و تأکیـدا لحاجه الانسان و فقره الی الله أن یرزقه العلم و العمل. قال یزید بن حازم: رأیت علی بن الحسـین و سـلیمان بن یسار یجلسان بین القبر و المنبر یتحدثان الی ارتفاع الضـحی و یتذاکران، فاذا أراد أن یقوما قرأ علیهم عبدالله بن أبی سلمه سوره، فاذا فرغ دعوالله. و تلک سنه من سنن رسول الله صلی الله علیه و سلم تؤکد وجوب ذکر الله عند بدایه المجلس و فی نهایته، أما القرآن فهو الذکر الحکیم فلیس فی قراءته عند انتهاء المجلس بدعه. [صفحه ۴۸]

مکانه السیاسی

مکان أی زعیم فی السـیاسه یرتبط بمقامه فی مجتمعه لا یریم عنه، مضافا الی موهبته السیاسـیه التی تهدف الی قیاده الشـعب نحو السـلام و الأمن و الحق و العـدل. فاذا کان للرجل دربه فی القیاده، و ایمان بالعـدل، و رغبه فی سـیادته، و لیس له مقام اجتماعی یجمع الیه القلوب، أو کان له حب و اجلال فی القلوب، و لم تکن له دریه فی السیاسه، و لا رغبه فی سیاده الحق و العدل، فلیس مؤهلا لمکان سیاسی مرموق، و لا هو صالح فی واقع الأمر لولایه أمور الناس. أما مقام زین العابدین فی المجتمع العربی کله فهو واضح من قول الجاحظ - و هو عثمانی النزعه -: «لم أر

الخارجی فی أمره الا کالشیعی، و لا العامی الا کالخاصی». و هو شهاده حق من عثمانی کان یصح أن ینقم علی الامام شیئا، لولا أن الامام کان علی خلائق الشرف التی لا یجد فیها عدوه مغمزا و لا فرصه لتشهیر و لا لتشویه. بل ان شاعرا کالفرزدق باعتباره متکسبا بشعره و مدائحه و أهاجیه علی السواء عرض نفسه لأوخم العواقب حینما وجد تهاونا فی حق الامام من جانب هشام بن عبدالملک قبل أن یلی الخلافه فی واقعه طریفه یحسن أن نسوقها. فقد حج هشام، فاجتهد أن یستلم الحجر الأسود فلم یستطع حتی نصب له منبر، فاستلم الحجر و جلس علیه. و اجتمع الناس حوله، فجاء علی زین العابدین، فتفرق الناس عن هشام، و وقفوا للامام و تنحوا حتی استلم الحجر، فقال له أهل الشام (نفاقا له): من هذا؟ فقال: لا أعرفه، فقال الفرزدق: لکنی أعرفه، هذا علی بن الحسین. ثم أنشد قصیده طویله نختار منها: هذا الذی تعرف البطحاء وطأته و البیت یعرفه و الحل و الحرم هذا ابن خیر عبدالله کلهم هذا التقی النقی الطاهر العلم اذ رأته قریش قال قائلها الی مکارم هذا ینتهی الکرم ینمی الی ذروه العز التی قصرت عن نیلها عرب الاسلام و العجم یکاد یمسکه عرفان راحته عند الحطیم اذا ما جاء یستلم [صفحه ۴۹] یغضی حیاء و یغضی من مهابته فلا یکلمه الا حین یبتسم بکفه خیزران ریحها عبق من کف أروع فی عرنینه شمم ینجاب نور الهدی من نور رغرته کالشمس ینجاب عن اشراقها الغیم ان عد أهل التقی کانوا أئمتهم أو قیل من خیر أهل الأرض قیل هم هذا ابن فاطمه ان کنت جاهله بجده أنبیاء الله قد

ختموا من جده و ان فضل الأنبياء له و فضل أمته و أنت لها الأمم من معشر حبهم دين و يفضهم كفر و قربهم منجى و معتصم يستدفع السوء و البلوى بحبهم و يستزاد به الاحسان و النعم مقدم بعد ذكر الله ذكرهم فی كل حكم و مختوم به الكلم و ليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت و العجم فغضب هشام، و أمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكه و المدينه، فلما بلغ على بن الحسين ذلک بعث الى الفرزدق باثنى عشر ألف درهم، فلم يقبلها و قال: انما قلت ما قلت لله عزوجل، و نصره للحق، و قياما بحق رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأرسل اليه يقول: قد علم الله صدق نيتک فی ذلک، و أقسمت بالله عليک لتقبلنها. فتقبلها ثم جعل يهجو هشاما، و كان مما قال فيه: أيحبسنى بين المدينه و التى اليها قلوب الناس يهوى حنينها يقلب رأسا لم يكن رأس سيد و عينين حولاوين باد عيوبها و حتى الأمويون أنفسهم كانوا يحسون حاجتهم الى رأيه، فيروى ابن كثير: أن عبدالملک بن مروان استقدمه الى الشام فاستشاره فی جواب ملک الروم عن بعض ما كتب اليه فيه من أمر السكه، و طراز القراطيس. و لم تكن الجائزه التى بعث بها الامام الى الفرزدق من تلک الجوائز التى يرصدها السياسيون استغلالا لمواقع التأييد الشعبيه، بل كانت بمثابه التعويض عما لحق الفرزدق من خسائر و ما ينتظره من أخطار محتمله لاقدامه على تلک المواجهه الخطيره لولى العهد، فليس من خلائق الامام استغلال مواقع التأييد، و ليس من خلائقه العمل على تكوين خلايا مؤيده له، بل لم يكن من آماله أن

يتولى الحكم، فلا تشهد واقعه من [صفحه ۵۰] حياته بأنه كان يسعى الى الزعامه و ان سعت اليه فى كثير من الأحوال. كان يؤيد الحق و يسعى اليه، و يجهد نفسه فى سبيل تأصيله بالقدوه الحسنه و ان جار على مؤيدين من الشيعه أو صدمهم فى عقائدهم، و كان يقاوم الباطل فى مختلف صوره و ان كان صادرا من أشد الناس فدائيه لآل البيت، و بهذا وحده كان مؤهلا للزعامه السياسيه، متسما بسمات الزعيم الذى تخلد مبادئه من حيث يتصرم أمر خصومه تحت تأثير الحق الذى تبناه مدى حياته. لم يكن يحرص على جمع الأنصار المبطلين كما يحرص محترفوا السياسه فى أنحاء العالم الحديث، و فى ربوع دوله الاسلام فى عصره، و آيه ذلك أن الشيعه كانوا يتكاثرون متأثرين بالسريه التى أضفوها على مذهبهم، و بالأساطير التى نسبوها الى الأئمه حتى أغروا الناس بالاجتماع عليهم، ولكن الامام أعلن نفوره منهم حين قال: «ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا». و كانت حركه المختار الثقفى حركه فدائيه يمكن استقلالها و تعديل منهجها للتخذ طريقها الى النجاح، و كان المختار نفسه يرغب فى زعامه الامام السجاد حيث خذله ابن الحنفيه هو الآخر بعدم تأييده فى آرائه الأسطوريه، و قد أرسل المختار الى زين العابدين مائه ألف دينار فأبى أن يقبلها، لأنه أدرك أنها محاوله لتأليف قلبه نحوه، و لقد أعلن الامام السبب فى عدم تأييده للمختار حينما وقف على باب الكعبه؟ و لعن المختار بعد قتله، فقال له رجل: تلعنه - جعلنى الله فداك - و انما ذبح فيكم؟ فقال: «انه كان كذابا يكذب على الله و رسوله». كانت دعوه المختار الممثله فى شعاره الظاهر: «يالثارات الحسين»،

حکـا یغلفه الباطـل الممثـل فی دعوی النبوه، و یحـدده الأمل الشخصـی، و الوصولیه الرخیصه، و کان یتـذرع بعض الحق وسائل الاعـداد، من مثـل رد اعتبار الموالی، و جعلهم قوام جیشه، ولکن الباطل فی الهـدف یعکر الحق فی الوسائل، و الامام لا یریـد الا الحق الشامل البری ء عن الهـدف الشخصـی، و الأطماع الفردیه، الحق الـذی یبـدأ من الاسـلام، و ینتهی الیه، فلا شـی ء یعنیه الا الاسـلام وحده. و لم یکن الامام من ذلک النوع من الزعماء الذین تجوز علیهم حیل الطامعین، و ألاعیب السـیاسه التی تشـبه الی حد کبیر ألا عیب الدبلوماسـیه الحدیثه، فهو صاحب ذکاء ألمعی موروث عن جده علی و عن أبیه الحسـین، و عن خلاصه البشـر جده الأعلی [صـفحه ۵۱] صـلوات الله و سـلامه علیه. و هو من طراز «دسـتوری» فرید بین عواصف الفتن التی شـملت عصـره، و اجتاحت بین زوابعها کثیرا من العلماء و رجال الفکر، ولکنه بقی دسـتوریا قویا لا یفرط فی أقل مواد دسـتوره و دستور الأمه شأنا فی أنظار الناس، و من هنا کما قلنا زعیما بفطرته و ان لم یکن علی کرسـی الخلافه المدخول. و ما من واقعه فی حیاه الامام الا و هی تعلن مواهبه السیاسـیه النادره فی المجال الدسـتوری، کما تعلن زعامته الکامنه فی أغوار شخصـیته فلا تسـتطیع العواصف أن تنـال من جوهرهـا و لاـ نقائها قلیلا و لا کثیرا. کان سـلوک الأمویین نحو أهل بیته و نحو أبیه یغری من لیس علی شاکلته من قوه الایمان بالدسـتور باستغلال أی فرصه و أی بادره و أی موقف یزعزع من سلطان خصمه، و یصعد به الی الخلافه حتی یأخذ الثأر لنفسه و لأهل بیته، ولکنه لم یفعل لأن

الدستور لا- يقول بالخروج على الحكام بالسيف. و كان هناك بعض مواقف شعبيه عانى منها فى نفسه، ولو أنها أصابت غيره لأغرى باذلال هذا الشعب انتقاما لنفسه، ولكن مصدر الالتزام عنده هو: الله، و الحق، و ليس فى شرعه الله و لا فى شرعه الحق انتصار للنفس، بل ان المواه و المدارك و الجهود كلها فى الدستور الالهى الذى دان به يجب أن توجه نحو نصره الله ممثله فى نصره دين الحق. و هذا هو سر شخصيه الامام فى ميدان الزعامه الدينيه و السياسيه معا. لقد كان مثل المؤيدين لبنى أميه مثل الكلاب المسعوره يغريها أصحابها بالعبث ببعض الناس لمجرد التسليه، فتتجاوز هذا النطاق الى التمزيق و النهش ارضاء لساستها. و كان مثل الامام و المتعقلين ممن حوله كالأسود تكبح جماح نفسها فلا تعرض للهزيل و لا تزاحم الكلاب على فرائسها. لقد كان الامام زين العابدين مع أبيه فى المعركه، ولكنه كان مريضا نائما، فلما قتل الامام الحسين قال شمر بن ذى الجوش: اقتلوا هذا. فقال رجل من أصحابه: سبحان الله اتقتلون رجلا مريضا فتى حدثا لم يقاتل؟ و جاء عمر بن سعد فقال: لا تعرضوا لهذا و لا لهؤلاء النسوه. و ثار الجدل حول مصير زين العابدين، و مصير سيدات آل البيت و أوانسه، و لندع الامام نفسه يروى ما حدث له آنذاك كما أثبته ابن سعد لندرك المدى البعيد الذى [صفحه ۵۲] وصلت اليه شخصيته من المتانه و القوه و عدم تأثير الباطل فى نفسه بالجور على الحق انتصارا لها كما يفعل الكثيرون من أبطال السياسه المعدودين فى التاريخ. قال الامام: «فقبلنى رجل منهم، و أكرم نزلى، و اختصنى، و جعل يبكى كلما خرج و دخل،

حتى كنت أقول: ان يكن عند أحد من الناس خير و وفاء فعند هذا الرجل. الى أن نادى منادى ابن زياد: ألا من وجد على بن الحسين فليأت به، فقد جعلنا فيه ثلاثمائه درهم. قال: فدخل والله على و هو يبكى، و جعل يربط يدى الى عنقى و هو يقول: أخاف، فأخرجنى والله اليهم مربوطا حتى دفعنى اليهم، و أخذ ثلاثمائه درهم و أنا أنظر اليها. فأخذت و أدخلت على ابن زياد، فقال، ما اسمک؟ قلت: کان لى أخ يقال له على أكبر منى قتلته الناس قال: بل الله قتله. قلت: «الله يتوفى الأنفس حين موتها». فأمر ابن زياد بقتله. فصاحت زينب بنت على: يا بن زياد حسبک من دمأننا، أسألک بالله ان قتلته أن تقتلنى معه. فتركه. فلما أتى يزيد بن معاويه بثقل الحسين بن على و من بقى من أهله فأدخلوه عليه قام رجل من أهل الشام فقال: ان سباءهم حلال لنا. فقال على بن الحسين: كذبت ولؤمت، ما ذاك لك الا أن تخرج من ملتنا، و تأتى بدين غير ديننا. فأطرق يزيد مليا ثم قال للشامى: اسكت، و قال لعلى بن الحسين: ان أردت أن تقيم عندنا فنصل رحمک، و نعرف لک حقک، و ان أحببت أن أردک الى بلادک و أصلک، فقال: بل تردنى الى بلادى. فرده. أما الذهبى فى تاريخ الاسلام فيستعصى الصور الأليمه فى المأساه فيقول: جاء مخفر بن ثعلبه العائذى برأس الحسين الى يزيد و قال: جئتک برأس أحمق الناس و ألأمهم، فقال يزيد: ما ولدت أم مخفر أحمق و لا ألأم، ولكن الرجل لم يقرأ كتاب الله: «تؤتى الملک من تشاء، و تنزع الملک ممن تشاء». و هى قوله لئيمه من

یزید فیها توریه واضحه، و تأین علی رأی مخفر بن ثعلبه من طرف خفی، و لیس ذلک ببعید علی مثله ممن فسق عن دین الله علی الصور المرویه عنه فی التاریخ. و یسوق الذهبی روایه أخری یقول فیها: ان یزید أخذ یعبث فی رأس الحسین رضی [صفحه ۵۳] الله عنه بقضیب من حدید فی یده، ثم بکی و قال: نقلق هاما من رجال أحبه علینا و هم کانوا أعق و أظما أما والله لو کنت صاحبک ما قتلتک. فقال علی بن الحسین: لیس هکذا. قال: فکیف یابن أم؟ قال: «ما أصاب من مصیبه فی الأرض و لا فی السماء الا فی کتاب من قبل أن نبرأها». و کان عنده عبدالرحمن بن الحکم، أخو مروان بن الحکم فقال: لهام بجنب الطف أدنی قرابه من ابن زیاد العبد ذی النسب الوغل سمیه أمسی نسلها عدد الحصی و بنت رسول الله لیس لها نسل فضرب یزید صدره و قال: اسکت. تلک وقائع المأساه التی عاشها الامام السجاد زین العابدین و هو شاب لم یتجاوز الثالثه و العشرین من العمر، و هی فتره من الحیاه تزخر عاده بالآمال و الطموح، و حب الزعامه، و الاندفاع نحو الثأر، و الجزاء بأکثر من الذنب، ولکن فی غیر سلیل بیت النبوه المجمع علی فضله و تقواه و تفانیه فی الاسلام، و الزعامه الاجتماعیه القائمه علی الدستور وحده. و فی الجانب الأموی المقابل یصرخ «ازدواج الفکر» معلنا عن نفسه فی صراحه لا مواربه فیها. فالرجل الذی آوی الامام فی بیته حرصا علی حیاته انما کان یحدوه الطمع فی الجعل الذی کان من المؤکد اعلانه لمن یدل علیه أو یأتی به، و لا زالت فی

نفسه بقيه من أسى على ما حل بآل البيت، و لذلك كان تصرفه مزدوجا بين الأسى و بين الفرح. الأسى على ما حل أعز الناس،و ألصقهم برسول الله صلى الله عليه و سلم، و الفرح بالمال المواتى فى عصر كان يقاس فيه الرجال بالجاه و المال. و كان ازدواج الفكر يصرخ كذلك بين جند بنى أميه فمثلا فى الخلاف حول مصير الامام، كما صرخ مره أخرى فى رغبه بعض المسلمين فى استحلال بنات النبى صلى الله عليه و سلم كأسرى حرب، و صرخ مره ثالثه فى رأس الدوله يزيد بن معاويه ممثلا فى بكائه، و فى عبثه فى رأس أحب الناس الى النبى صلى الله عليه و سلم بقضيب من حديد. ولكن الامام كان بريئا طاهرا من هذا المرض العقلى المقيت و هو: ازدواج الفكر». فقد كان فى كل تصرفاته ازاء المأساه يلتزم بالقرآن و بدستور الله، و يتخذ منه الحاكم الأول على قوله و فعله، و لم تتوزعه الأهواء و الأفكار السوداء من جهته، و الاسلام من [صفحه ۵۴] جهه أخرى كما كان عليه خصومه الأمويون. فماذا كان موقفه اذن؟ كان أول ما أعلنه على هدى من مصدر الالتزام الذى يدين به: عدم تشجيع الخروج بالسيف، و كان يصد كل من تساورهم نفوسهم أن يثوروا بالسيف، و يروى ابن سعد أن قوما من أهل خراسان جاءوه فشكوا اليه ظلم و لا تهم، فأمرهم بالصبر و قال لهم: «انى أقول لكم كما قال عيسى بن مريم: (ان تعذبهم فانهم عبادك و ان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم (۱۱۸))[المائده: ۱۱۸] و نفس مصدر الالزام الالهى هو الذى دعاه الى الصلاه خلف أئمه بنى الا أميه، و

یقول ابنه أبوجعفر: «انا لنصلی خلفهم بغیر تقیه، و أشهد علی علی بن الحسین أنه کان یصلی خلفهم فی غیر تقیه». فلیست التقیه – و هی نوع من المداراه – هی التی دعت الامام الی الصلاه خلفهم، و مالها تکون تقیه و هی من قانون الاسلام و دستوره حفظا لوحده الأمه، و نأیابها عن الفتن، و ایثارا للاصلاح عن طریق النصح و القدوه الحسنه المضاده للقدوه السیئه السائده فی العصر. من أجل هذا ان یحث علی: الأمر بالمعروف و ینهی عن المنکر ما وجد السبیل الیه، و لا یبیح السکوت عن الأمر و النهی و العدول الی الانکار بالقلب الا ـ عند الضروره القصوی. و یعلن رأیه قائلا: «التارک للأمر بالمعروف و النهی عن المنکر کنا بذ کتاب الله وراء ظهره، الا أن یتقی منه تقاه. قیل: و ما تقاته؟ قال: «یخاف جبارا عنیدا أن یفرط علیه أو أن یطغی». و لقد نجحت سیاسه الامام نجاحا باهرا، اذ کان عدد کبیر من العلماء یفنون فی الأمر و النهی، حتی لقد تعرضوا للقتل و التشرید و الصلب، و کونوا خطرا حقیقیا علی حکم الظلم و الطغیان، و من أشهر هؤلاء العلماء بعد الامام: سفیان الثوری الذی أرق مضاجع الخلفاء بسلوکه الاسلامی الأصیل. کانت هناک فکره شیعیه تقول بالرجعه، و تعنی بعث الامام القائم الذی یملأ الأرض عدلا کما ملئت جورا و ظلما من الموت، و تحقیق نصره علی الظلمه، ثم تفرقت السبل بالشیعه فیمن یکون هذا القائم المبعوث، و یبدو أن الأنظار کانت موجهه نحو الامام علی باعتباره رأس العلویین، وفتی قریش و فارسها غیر منازع. [صفحه ۵۵] و تلک فکره تغری أصحاب المطامع من الوصولیین

بتشجيعها و تجميع الناس حولها، و اعدادهم لمعركه يفيد منها الطامع على أى صوره من صور الافاده: اما قضاء على الخصم المنافس، و اما تأريقا لمضجعه، و اقلاقا لسكينته، و كلاهما نصر على أى حال. ولكن الامام الذى لم يلتزم نحو نفسه بشى ء، و وجه التزامه كله نحو الحق و العدل و الاسلام رفض هذه الفكره و خيب آمال القائلين بها حينما جاءه رجل فسأله: متى يبعث الامام على؟ فقال: «يبعث يوم القيامه، و تهمه نفسه». و هكذا لم يكتف الامام بمقاومه فكره الرجعه وحدها، بل انه قاوم فكره التأليه التى كانت تغزو عقول الشيعه بقوله للسائل: و تهمه نفسه. لأن هناك فكره تبناها الشيعه و برزت عند الاسماعيليه فيما بعد تقول: ان القائم هو الذى يتولى الثواب و العقاب يوم القيامه. من هذا المنطلق الاسلامى الأصيل الموحد الهدف و الوسيله كانت عبقريه السجاد تلعب دورها البناء فى سياسه دوله الاسلام، اذ أمن الأمويون جانبه، و اطمأنوا الى براءته من أطماع الحكم، فتركوه لأن منهاجه لا يهدد عرش الأمويين فى زمنه على أى حال، بل وصلوه و أحبوه، و كان له من هذا الحب و الأمن وسيله الى توسيع نطاق دعوته الاصلاحيه، و اتصاله بأوساط شعبيه و علميه لم تكرر تتهيأ له لو أنه شجع الباطل للوصول الى الحق. و مع هذه المسالمه النابعه أساسا من تعاليم الاسلام و قانونه الذى لا يعتريه الباطل، فلم يسكت عن الحق المهدر لآل البيت، لأنه اعتبر نفسه مسلما وجب عليه الدفاع عن آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم كما أمر القرآن و أكدت السنه النبويه. روى ابن سعد عن المنهال بن عمر و قال: دخلت على على

بن الحسـين، فقلت له: كيف أصـبحت أصلحك الله؟ قال: ما كنت أرى شيخا من أهل المصر مثلك لا يدرى كيف أصبحنا، فأما اذ لم تـدر أو تعلم فسأخبرك: أصـبحنا فى قومنـا بمنزله بنى اسـرائيل فى آل فرعون، يـذبحون أبنـاءهم، و يسـتحيون نساءهم، و أصـبح شـيخنا و سـيدنا (يعنى الامام عليا) يتقرب الى عدونا بشـتمه أو سبه على المنابر، و أصبحت قريش تعد أن لها الفضل على العرب لأن محمدا صـلى الله عليه و سـلم منها، لا يعد لها فضل الا به، و أصـبحت العرب مقره لهم بذلك، و أصبحت العرب تعد لها الفضل على العجم، لأن محمدا صـلى الله عليه و سـلم منها، لا يعد لها فضل الا به، و أصـبحت العجم [صـفحه ۵۶] مقره لهم بـذلك. فلئن كانت العرب صـدقت أن لها الفضل على العجم، و صدقت قريش أن لها الفضل على العرب، لأن محمدا صـلى الله عليه و سـلم منها، فان لنا - أهل البيت - الفضل على قريش، لأن محمدا صـلى الله عليه و سـلم منا. فأصـبحوا يأخذون بحقنا، و لا يعرفون لنا حقا، فهكذا أصبحنا، ان لم تدر كيف أصـبحنا». قال: فظننت أنه أراد أن يسمع من فى البيت. هو منطق الحق و العدل، و منطق الدسـتور على أى حال، و ان كانت العائـده من هـذا المنطق السوى تعود على آل البيت، و على الامام السـجاد نفسه لأنه منهم، فالله تعالى يقول أمرا لنبيه أن يبلغ أمته: (قل لا أسألكم عليه أجرا الا الموده فى القربى)[الشورى: ۲۳] و النبى صلى الله عليه و سلم يقول: «أحبوا آل بيتى لحبى». و لا خير فى أمه تهدر حقوق آل بيت نبيها، بل هو شر

سرعان ما يتطور الى اهـدار حق النبى نفسه، و من ثم يهدر حق الدين و دسـتور القرآن. فالمسأله هى الاسـلام أولا و أخيرا، و ان بدت فى ظاهر النظر خاصه بأهل البيت النبوى أنفسهم. و الامام يشير فى قوله هذا الى أساس الظلم الذى قام عليه حكم بنى أميه، و هو: اسـتغلال حقوق الغير، و عـدم الوفاء بحق هـذا الغير الـذى اسـتغلوه. أى: انه الغـدر و الخداع الذى تقوم عليه أصول الحكم الأـموى ممثلاـ فى التعصب للجنس العربى باعتبـاره نبع النبوه، و التعصب لقريش باعتبارهـا الأـم التى تفرع عنها نبى الله صـلى الله عليه و سـلم، فاذا كان النبى صـلى الله عليه و سـلم هو مصـدر شـرفهم بأين حقوق أبنائه و ذريته، و هل فى شـريعه الحق أن يذبح أبناؤه الـذين يكونون جزءا رئيسـيا من هذا الشـرف الذى يدعيه بنوأميه لأنفسـهم؟ كان الأمويون حقا يبطنون الغدر، و فى الوقت نفسه يسـتغلون الاسـلام و رسوله فى سبيـل الوصول الى مـآربهم، و كـان آل البيت فى مواقعهم الاسـلاميه الأصـيله لا يتحولون [صفحه ۵۷] عنهـا الى أى نوع من الوصوليه و النفع الفردى. كانت فتنه ابن الزبير بمكه، و كان الامام يتخوفها و يتوجس منها شـرا على الاسـلام لا على نفسه، لأنها فى الظاهر تخـدم مصالـح آل البيت بمحاولته القضاء على بنى أميه. و قد علل الامام حزنه الذى كـان يسـتبد به أيامهـا فى روايه رواهـا أبونعيم و ابن كثير و غيرهما، قالوا: انه كان حزينا يسـتند الى حائط فرآى رجلا عليه ثياب بيض فسأله عن سـبب حزنه، أهو من أمر الرزق، أو من أمر الـدنيا؟ فقال الامام: ما على هـذا أحزن، انما أتخوف فتنه ابن الزبير. و لم يكن خوفه من فتنه

ابن الزبیر موجها نحو نفسه، و انما کان - کرایه - موجها نحو مصلحه الاسلام العلیا. و قد کان ما تخوفه الامام فعلا، اذ ضربت الکعبه بالمجانیق و هدمت، و انتهک الحرم، و استحلت الکعبه و لم تحل لأحد الا للبنی صلی الله علیه و سلم ساعه من نهار یوم الفتح دخل حرمها جیش الاسلام الفاتح للقضاء علی الکفر، ثم حال عبدالملک بین المسلمین و بین الحج الی الکعبه أیام ابن الزبیر، و شجع فکره الحج الی قبه الصخره فی بیت المقدس، الأمر الذی دعا الکثیر من المفکرین الی القول بعداء الأمویین للاسلام و لرسوله، لأنه قضی علی أرستقراطیتهم فی مکه، فحاولوا احیاءها فی بیت المقدس البدیل من الکعبه. بل ان المقدسی یروی فی کتابه «مثیر الغرام» أن عبدالملک و کل بالصخره خدما من الیهود أعفاهم هم و ذریاتهم من الضرائب المفروضه علی أمثالهم، کما أنفق علیها نفقات باهظه، و خطب الناس یحرضهم علی استبدالها بالکعبه بیت الله الحرام، و أول بیت وضع للناس مبارکا فیه من رب العالمین. فهل بان لنا الآن کیف استغل الأمویون حقوق النبی صلی الله علیه و سلم علی العرب فی بناء مطامعهم الشخصیه، و أهدروا حقوق أبناء النبی صلی الله علیه و سلم، و بالغوا فیها حتی أهدروا حقوق الاسلام نفسه، و هدموا الدستور القرآنی فی فریضه تعتبر رکنا من أرکان الاسلام قالوا فیها بأهوائهم خدمه لأهوائهم ذاتها؟ و کانت السیاسه الأمویه الملتویه علی الصوره التی رسمناها تحاول جاهده أن تحد من حب الناس لآل بیت النبی صلی الله علیه و سلم، و تسکت عن کل ما من یتناولونهم بالتجریح، ولکن سیاسه الامام التی عرفنا أساسها الالتزامی کانت ترد هؤلاء الی

الصواب فى سرعه و نجاح. روى ابن سعد: أن هشام بن اسماعيل كان يؤذى على بن الحسين و أهل بيته، [صفحه ۵۸] يخطب بذلك على المنبر، و ينال من على، فلما ولى الوليد عزله، و أمر به أن يوقف للناس. فكان يقول (أى هشام بن اسماعيل): لا والله ما كان أحد من الناس أهم الى من على بن حسين، كنت أقول: رجل صالح يسمع قوله. فوقف للناس، فجمع على بن الحسين ولده و قرابته، و نهاهم عن التعرض له، و غدا على بن الحسين مارا لحاجته فما عرض له، فناداه هشام بن اسماعيل: «الله أعلم حيث يجعل رسالته». و خرج يوما الى المسجد فسبه رجل، فانتدب الناس اليه، فقال: دعوه، ثم أقبل عليه و قال: «ما ستر الله عنك من عيوبنا أكثر، ألك حاجه نعينك عليها»؟ فاستحيى الرجل، فألقى اليه خميصه كانت عليه، و أمر له بألف درهم، فكان الرجل اذا رآه قال: «أنت من أولاد الأنبياء». و نال منه رجل يوما، فجعل يتغافل عنه، فقال الرجل: اياك أعنى. فقال: و عنك أغضى. و لئن كان الصفح عن المسى ء مبدأ اسلاميا يفضل بكثير مبدأ القصاص المشروع، فان قصص الصفح التى تتصل بالناحيه السياسيه فى تاريخ الامام السجاد تشكل منهجا أكيدا هدفه تصحيح الأوضاع التى خلقتها أجهزه الاعلام الأمويه بالنسبه للعلويين و آل بيت النبى صلى الله عليه و سلم خاصه. و رغم أن عبدالملك بن مروان كان يتحفز للقضاء على زين العابدين، و قد روى أبونعيم أنه حمله الى الشام مثقلا بالحديد، فقد نجحت سياسه الامام فى كبت غيظ عبدالملك، و انتزعت حبه له بعد أن اقتنع بأنه لا يعمل لنفسه، و لا يرجو من وراء اتصاله

بالناس مطمعا. و لقد كان الامام ذا منطق واع مقنع فى رد المنحرفين الى الصواب، يتخذ من الحب و الوئام وسيله لتأليف القلوب، كما يتخذ من الشده أحيانا وسيله لنفس الهدف. روى أبونعيم أنه جاءه ناس من أهل العراق فقالوا فى أبى بكر و عمر و عثمان، فقال لهم: أنتم المهاجرون الأولون؟ قالوا: لا. قال: فأنتم الذين تبوأوا الدار و الايمان يقولون: ربنا اغفرلنا و لاخواننا الذين سبقونا بالايمان و لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا؟ قالوا: لا. قال: أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين.. اخرجوا فعل الله بكم. [صفحه ۵۹] بقى أن ننظر قليلا لنتعرف الى القيمه العمليه للمنهج السياسى الذى سار عليه الامام السجاد. هو منهج المسالمه للعدو المسلم، و انكار الذات، و اعتبار مصلحه الاسلام، و الحق و العدل هى المصلحه العليا التى لا تعلوها مصلحه بالغه ما بلغت، و التضحيه فى سبيل تهيئه المناخ الصالح لعوده الأخوه الى حالها و تلك بعينها هى سياسه النبى صلى الله عليه و سلم التى انتهجها فى صدر الاسلام الأول. و كان النبى صلى الله عليه و سلم يهدف منها الى الكشف عن وجه الاسلام الرحيم المتسامح، الذى يفسح الطريق أمام المواهب لتبرز الى ميدان العمل، فلا يطيح بها حقد أهوج، و لا تجنى عليها مطامع نفس جائره، بل لقد كان هذا السلاح نفسه هو الذى هدم كبرياء أبى سفيان جد بنى أميه، و أدال من جبروتهم. كما أن تلك السياسه من الوجهه الاجتماعيه تسل الأحقاد من الصدور مصداقا لقوله تعالى: (و لا تستوى الحسنه و لا السيئه ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك و بينه عداوه كأنه ولى حميم (۳۴)[فصلت:

۳۴] و على المستوى الأعلى لسيايه كانت القضيه منذ الامام على الى الامام زين العابدين و من بعده هى قضيه الالتزام فهل يعتبر المسلم ملتزما نحو الاسلام وحده بقوانينه التى تنحصر فى الحق و العدل، أو من الجائز أن يعتبر الاسلام مصدرا شكليا للالتزام، بحيث يلتزم نحو بما يخدم مصالح الذات، و ينبذ منه ما يتعارض معها؟ أو بمعنى أوضح و أدق: هل يؤخذ الاسلام كما جاء فى القران الكريم، و السنه النبويه، و سلوك الراشدين المهديين دون تحوير و لا ـ تأويل، أو يجوز فيه التطوير و التحويل حسب مقتضيات العصر الماديه وحدها؟ لقد تبنى العلويون و آل البيت النبوى الرأى الأول، و تبنى الأمويون الرأى الثانى. و الحق أن القول بالتحرير أو التطوير أو التجديد قول لا يجوز الا فيما جد بعد عصر النبى صلى الله عليه و سلم من شئون لم تكن موجوده فى عهده من المعاملات و الفروع، و ليس خاصا بالأصول و لا متصلا بها. فالحلال و الحرام، و أصول الحكم، و المساواه بين شعوب الاسلام، و الوضوح، و التسامح، و القدوه الحسنه، و اطراح البدع، و غير ذلك من الأمور كل تلك شئون لا يجوز القول فيها [صفحه ۶۰] بالرأى، و لا يجوز عليها التبديل و التغيير و التجديد، لأنها الأصول الأولى التى يمكن للسياسه الاسلاميه أن تسود على أساسها، و التى يمكن أن تغزو قلوب غير القابلين للاسلام بادى ء النظر فلا يريدون به بديلا، و التجديد فيها هدم لوسائل انجاح الدعوه فى أقطار أخرى، و عمل على اندثار ما رسخ فى القلوب من خلائق الصدر الأول على مرور الزمن. و ما الاجتهاد المقرر فى الاسلام الا فى وسيله التنفيذ،

بشرط مراعاه مصلحه الاسلام العليا أولا و قبل كل شى ء، أما اذا كانت المصلحه الفرديه أو القبليه هى هدف الاجتهاد فهذا غير جائز فى عرف الاسلام، و لا ـ فى عرف المجتهدين من صحابه رسول الله صلى الله عليه و سلم. و لئن قال قائل كما اعتاد المحدثون أن يقولوا أحيانا: ان سياسه الامام على رضى الله عنه لم تكن حكيمه لأنه أضاع الخلافه من يده، بينما استحكمت سياسه معاويه فبقيت الخلافه فى بيته قول مجاوز للصواب بعيد عن العمق و الشمول. فلئن ضاعت الخلافه من يت الامام على بسبب بعض الاجراءات التى رفضها الامام فلم يكن ذلك عن جهل بآثارها، بل كان الامام عليما بما يعمل، خبيرا بنتائج ما آثار على ما رفض من تسلط، و استبداد بالرأى، و رشوه للجيش، و التواء فى الحديث، و تضليل للرأى العام. و كانت المسأله عنده قضيه قوامها البناء و مقاومه عن الهدم، و خير للامام أن يخسر معركه الخلافه و الاسلام قائم، و قانونه لا يعتريه تحريف و لا تضليل، من أن يكسب معركه و يهدم أصلا من أصول سياسه الاسلام التى شرعت أصلا لغزو قلوب الملايين فى أرجاء العالم. و كيف يؤثر الامام ذاته على الاسلام و دستوره، و هو ربيب النبى صلى الله عليه و سلم، و المتفرد بالعلم بين الصحابه، و مرجعهم الدستورى فى المعضلات؟ فخسران الامام لمعركه الخلافه احياء لمبدأ انكار الذات، و مبدأ انكار الذات، و الوضوح خير ألف مره عند الامام من كسب معركه سياسيه كان من الهين عليه كسبها، ولكن آثارها السيئه كانت من الخطوره بمكان. كان هناك اعتراف و تأكيد لحق الذات من جانب بنى أميه، و كان هناك استبداد

بالرأی، و كانت هناک رشوه للجيش و للشعب، و كان هناک تلويح بالشهوات لمن يريد، و تلک هی البلبله بعينها، فلو أن الامام هو الآخر وافق على تلک السياسه و نفذها لنجح [صفحه ۶۱] يقينا فی معركته، ولكن الدستور الاسلامی كان سيفتقد تلک المواد الرئيسيه و هی: الشوری و عدم الاستبداد، و القضاء على مبدأ الرشوه، و الوضوح و الحق. كما كان سيفتقد القدوه الحسنه المتبوعه فی سلوک الصحابه الذين أعلن النبی صلى الله عليه و سلم وجوب الاهتداء بهم فی ظلمات الفتن، و مهام المشكلات. و كان يمكن لأی انسان يأتی بعد الامام أن يلغی أی ماده من دستور الاسلام محتجا بفعل علی رضی الله عنه باعتبار رأيه و رأی الصحابه أصلا من أصول الفقه الدستوری الاسلامی الحنيف. و تكون الفتنه العمياء التی يقول فيها كل دخيل برأيه الى أن يمحی جوهر الاسلام، و يصبح لونا من الفلسفه الفارغه لا- جدوی منها. و كان الامام الحسين ثوره على اجتهاد الأمويين، و محاوله للعوده بالمسلمين الى الطراز الأول من سياسه الاسلام. و كانت حكمه بنی أميه فی السياسه - التی يزعمها كتاب العصر الحديث أحيانا - قد وصلت بالمسلمين التابعين لهم، و الملتقين حولهم الى ما تخوفه الامام علی رضی الله عنه، و كانت لدی حماء السياسه كما يزعم بعض المحدثين أجهزه اعلام تنشر كل ما يخدم مصالحهم ولو كان باطلا يروی من حديث رسول الله و كذبا عليه، أو تفسيرا لآيه من القران تزعم أجهزه الاعلام تلک أنها رأی فلان ممن مات من الصحابه، و اضطربت أفكار المسلمين، و ازدوجت أفكارهم على النحو الذی عرضناه. و كان لابد من دم طاهر زكی شريف نبيل

یراق ظلما وعدوانا حتی یکون ذکرا دائما عبر العصور لقضیه السیاسه الحقه للاسلام لا ینساه مسلم ما دام هناک ذکری لقتل الحسین. و کان قتله و الظروف المحیطه به مثارا للفزع و الألم کما أراد الله لیبقی حزب المعارضه للباطل قویا بأنصاره أذکیاء یتأثرون به، و یدرکون أسراره مدی الأیام. ولو لم یقتل مولانا الحسین، ولو لم یستذل أبناؤه و أهل بیته علی الصوره المرویه فی التاریخ لما بقی جوهر الاسلام الی الآن، ولعدت علیه ید التأویل، و مفتریات الروایات الکاذبه، و لذلک کان الامام علی زین العابدین بن الحسین یقول دائما. : «ما یسرنی أن لی بنصیبی من الذل حمر النعم». و لیس من المعقول مطلقا أن یرغب الامام السجاد فی الذل الا لله وحده، شأنه فی ذلک شأن أهل البیت، بل و شأن أقل العباد و الزهاد شأنا من غیر آل البیت. ولکن الامام کما قلنا کان هادفا من کل کلمه و کل حرکه و کل سکنه له فی حیاته الی هدف سیاسی قوامه الاسلام و الحق و العدل، و لم یکن مرتجلا فی أی سلوک سلکه [صفحه ۶۲] مدی حیاته. ففی ذله المضروب علیه اثبات لشخصیه الاسلام، و ذکری لمن کان له قلب من بعده یواصل بها تحقیق شخصیه الاسلام و یدفع الباطل، و ذل مع الحق و العدل و الاسلام هو ذل فی سبیل الله أولا أخیرا. و نعود فنقول: ان سیاسه العلویین منذ الامام حتی زین العابدین هی تأسیس لحزب معارض للباطل ینمو و یتکاثر علی الأیام، ولو أن الامام علی أو الامام الحسین، أو الامام السجاد اصطنع و ما یشبه السیاسه الحدیثه فی عصرنا للوصول الی الحکم ولو بحجه أخذ الناس بالحق،

و النأی بهم عن الباطل، فان هذا العمل الخطیر لم یکن الا اتفاقا بین الأمویین و المعارضین للباطل من أهل البیت علی الباطل، أو بمعنی أوضح: لم یکن - ان حدث - الا- اتفاقا علی الغاء مواد دستوریه هامه من أصول سیاسه الاسلام العلیا، و هو ما لم یکن الامام و لا أبناؤه یوافقون علیه، مهما رماهم المفکرون المسلمون فیما یعدهم من الزمان بقصر الباع فی میدان السیاسه. و أخیرا نقول: ان ما حافظ أئمه آل البیت علیه، و ما آثروا الذل علی التفریط فیه من أصول سیاسه الاسلام هو ما ینادی به کثیر من المخلصین الآن فی عصرنا الحاضر من اعاده النظر فی التاریخ، و العوده الی أصول الاسلام الأولی کوسیله للخلاص من الذل المضروب علی المسلمین من جراء القول بالرأی، و یأبی الله الا أن یتم نوره ولو کره المجرمون. [صفحه ۶۳]

مکانه الاجتماعی

لقد بحثنا فی الفصل السابق مکانه الامام السیاسیه منفصله عن مکانته الاجتماعیه التی أشرنا الیها اشاره عابره لنثبت أن جدارته فی المجال السیاسی کانت تعتمد علی ذکائه و وعیه الدینی الشامل، و شخصیته الفذه، فاذا ما أضفنا الی هذا مکانته الاجتماعیه فقد تم أمره، و استحکمت شخصیته غایه الاستحکام فی مجال الزعامه التی تستند الی الشخصیه أولا، ثم الی المکانه الاجتماعیه، لأن العکس ینزل بالزعامه من درجتها الأولی الی المرتبه الثانیه، لاعتمادها فی تلک الحاله علی عوامل خارجه عن شخصیه الانسان. هو فی نسبه کما قلنا یعتبر من جهه أدبیه أعرق أنساب الدنیا شرفا وجاها. و أما جده لأمه فهو «یزدجرد» أخر ملوک الفرس، و کان لیزدجرد ثلاث بنات سبین فی زمن عمر بن الخطاب، فکانت واحده منهن لعبدالله بن

عمر بن الخطاب، فولدت له «سالما»، و كانت الثانيه لمحمد بن أبى بكر الصديق، فولدت له «القاسم»، و كانت الثالثه للامام الحسين بن على، فولدت له «عليا زين العابدين السجاد». فسالم بن عبدالله بن عمر، و القاسم بن محمد بن أبى بكر، و الامام السجاد له أبناء خالات. و الثلاثه من أعيان الفقهاء العلماء فى الصدر الأول، فتضافر مجدهم فى العلم مع مجدهم جميعا فى الأصل العريق، ولكن زين العابدين قد تفوق عليهما فى النسب من جهه الأب، و بوصلته القريبه برسول الله صلى الله عليه و سلم، و بأصالته فى بنى هاشم. و كما كان عزيزا بأصوله كان عزيزا بين العرب بأولاده. و قد تزوج الامام السجاد أم عبدالله بنت عمه الحسن بن على بن أبى طالب، فولدت له: الحسن، و الحسين الأكبر، و أباجعفر الفقيه، و عبدالله. و يقول الأصمعى: ان مروان بن الحكم قال له: لو اتخذت السرارى يكثر أولادك؟ فقال: ليس لى ما أتسرى به، فأقرضه مائه ألف، فاشترى السرارى و كثر نسله، ثم لما مرض مروان أوصى ألا يؤخذ منه شى ء. و ولد له من احدى أمهات أولاده: زيد المقتول بالكوفه و امام الزيديه، و عمر، و على، و خديجه. [صفحه ۶۴] و من أخرى ولد له: حسين الأصغر، و أم على، و هى عليه. و من أخرى: كلثم، و سليمان - و لا عقب له، و مليكه. و من رابعه: القاسم، و أم حسن (و هى حسنه) و أم الحسين، و فاطمه. و كان رضى الله عنه مهيبا أبيا فى جمال و هيأه حسنه، و لباس فاخر، تتوجه السياده الموروثه، و البهاء النبوى الوقور. و يقول شريك بن أبى بكر: انه كان يصبغ بالسواد، أما موسى بن حبيب

الطائفی فیقول: انه کان یخضب بالحناء و الکتم و کلاهما وردت من السنه النبویه، اذ أوصی صلی الله علیه و سلم بالسواد، و قال: هو أحظی لکم عند نسائکم، و أهیب فی قلوب عدوکم. و قال عثمان بن حکیم: رأیت علی علی بن الحسین کساء خز وجبه خز. و قال ابنه أبوجعفر: کان لعلی بن الحسین سب سبنجونه من ثعالب، فکان یلبسها، فاذا أراد أن یصلی نزعها. و قال: أهدیت لعلی بن الحسین مستقه من العراق، فکان یلبسها، فاذا أراد أن یصلی نزعها. و قال نصر بن أوس الطائفی: دخلت علی علی بن الحسین و علیه سحق ملحفه حمراء، و له جمه الی المنکب مفروق. و یقول یزید بن حازم: رأیت علی علی بن الحسین طیلسانا کردیا غلیظا، و خفین یمانیین غلیظین. و یروی حسین بن زید بن علی عن عمه عمر بن علی أن علی بن الحسین کان یشتری کساء الخز بخمسین دینارا فیشتو فیه ثم یبیعه فیتصدق بثمنه، و یصیف فی ثوبین من ثیاب مصر أشمونیین بدینار، و یلبس ما بین ذا و ذا من اللبوس، و یقول: «من حرم زینه الله التی أخرج لعباده و الطیبات من الرزق». و یعتم، و ینبذ له فی السعن فی العیدین بغیر عسکر، و کان یدهن أو یتطیب بعد الغسل اذا أراد الاحرام. و قال سعید بن أبی هند: رأیت علی علی بن الحسین قلنسوه بیضاء لاطئه. و قال محمد بن هلال: کان علی بن الحسین یعتم و یرخی عمامته خلف ظهره شبرا أو فویقه. [صفحه ۶۵] و قال موسی بن أبی حبیب: رأیت نعل علی بن الحسین مدوره لیس لها لسان. کان مظهره علی هذا النحو

من الجمـال و الفخـامه و السـياده الظـاهره و الباطنه، و لم يكن هـذا المظهر الجميل اغراقا منه فى الترف، و انما كان مما تستر فيه على مذهب أهل الملامه من نسبه الزهد و التواضع اليه، كما كان يتظاهر بالبخل و هو منه بعيد. و الدليل على أنه كان يتستر بهذا اللبـاس الفـاخر أنه كـان اذا جن الليـل حمـل على ظهره جر الطعـام الى الأرامـل و المسـاكين، و ليست تلك خلائق المفرقين فى الأبهه و العظمه بأى حال. و ما تستر به انما هو مباح خالص لا شـبهه فيه و لا مظنه شبهه. على أن الامام بحكم رئاسته لأهل البيت النبوى فى عصـره كان لابـد أن يظهر بمظهر لائق ببيت النبوه فى عصـر سادت فيه الأبهه قصور الخلفاء، فكان لابد من الفارق بين أبهه المسـتكبرين و أبهه المتواضعين من ال البيت. و كان الامام رضى الله عنه يربط صلاته الاجتماعيه بكل الطبقات المسلمه فى نطاق شـريعه الاسـلام و سـنه النبى صلى الله عليه و سلم يرفع بسلوكه معنويات أهدرت فى عصره بعد أن أطلت الأرستقراطيه مره أخرى برأسـها. و لقد زوج الامام ابنه له من مولاه، و أعتق جاريه و تزوجها، فكتب اليه عبدالملك بن مروان يعيره بذلك، فكتب اليه: لقد كان لكم فى رسول الله أسوه حسـنه. فقد أعتق رسول الله صـلى الله عليه و سلم صفيه و تزوجها، و أعتق زيد بن حارثه و زوجه ابنه عمته زينب بنت جحش. و كمـا كـان حرصـا على رفع معنويات المعتقين على هـذه الصوره الكريمه كان حريصا على حفظ الصلات بين آل بيت النبى قويه سليمه من التقاطع و التدابر باعتباره الرجل المرموق فى البيت بعد أبيه و

عمه. حدثت بینه و بین الحسن بن الحسن ابن عمه خصومه، و کانت بینهما مناقشه، فنال منه حسن و هو ساکت فلما کان اللیل ذهب الامام الیه و قال: یابن عم، ان کنت صادقا یغفر الله لی، و ان کنت کاذبا یغفر الله لک، و سلام علیک، ثم رجع. فحلقه حسن فصالحه. و کانت صلاته تمتد حتی تشمل الخلیفه نفسه، و کان الخلیفه یحترمه و یبجله و یستجیب له، و لم یوص بأحد خیرا یوم وقعه الحره الا بعلی بن الحسین، و کان لشده حرصه علی ترابط المجتمع، و الاحتفاظ بعلاقاته مع الجمیع یصفح عن کل من أساء الیه، حتی روی ابن أبی الدنیا عن أبی حمزه الثمالی أنه کان اذا خرج قال: «اللهم انی [صفحه ۶۶] أتصدق الیوم - أو أهب عرضی الیوم - لمن استحله». و جماع مکانه الاجتماعی قول الجاحظ الذی ذکرناه آنفا: «لم أر الخارجی فیه الا کالشیعی، و لا الخاصی فیه الا کالعامی». أی انه کان محوا من الجمیع بحیث لا یبطن انسان له عداوه، و مع ذلک فقد ان یسرع الی سل أحقاد المغرضین، و یحولهم الی أحبه بابتدائه لهم بالتحیه و العطاء و الاسترضاء. [صفحه ۶۷]

الکریم الزهد

أما أن یکون زین العابدین کریما فهذا أمر لا غرابه فیه، فهو ابن الأکرمین کابرا عن کابر فی کرم آبائه أحد و أما أن یکون زاهدا فتلک سمه الکریم، اذ لا یجتمع حرص و کرم فی قلب انسان. ولکن الذی نرید أن نحققه هنا هو التوفیق بین المظهر الجمیل و اللباس الفاخر و بین خلیقه الزهد. و تحقیق الزهد أنه: عدم الحرص، أو عدم انعقاد القلب علی حب المال و وسائل الانتفاع الأخری، دوام

الاستعداد لبذلها فی مواضعها المشروعه دون تردد. هذا هو الزهد فی حقیقه معناه، فکم من غنی اجتمع له المال و الجاه و هو زاهد، و کم من فقیر مملق و هو حریص شحیح غیر زاهد، هذا هو الأصل، ولکن تباین العصور و اختلاف الأحوال فیها فتح للأئمه من العلماء با الاجتهاد فی صوره الزهد لا فی أصله الذی أوضحناه. کان الزهد فی عصر النبی صلی الله علیه و سلم: بساطه فی الحیاه، و تقلل من وسائل الانتفاع، وعود الفائض علی المحتاجین من الفقراء و المساکین، و مع ذلک قد کان بین الصحابه الزاهدین من یلبسون اللباس الجمیل الفاخر و هم فی الحقیقه زهاد. و انسحب هذا المعنی علی عصر الامام زین العابدین، ولکن الناس بدأ و الشجون و یحرصون و یعقدون قلوبهم علی حب الدنیا، فاختار المعلمون أن یشمل الزهد ظاهر البدن فلا یکون علیه الا أدون اللباس کدلاله علی التحقق بمعنی الزهد الباطن فی القلب، و حفظا لآداب الاسلام من الادعاء الکاذب. و کانت عوده الانسان من مظاهر الأبهه و الفخامه الی لباس الصوف أو غیره من اللباس الرخیص دلیلا علی حقیقه ما فی القلب من تخل عن حب الدنیا اذا اقترن ذلک کله بالبذل و العطاء. و لما استبد بالناس الطمع فی الدنیا، و مضی علی ذلک زمن طویل، فسدت قلوبهم، و أصبح من العسیر علیها أن تستعذب آداب الاسلام الا بعد مجاهده عنیفه، ففضل المعلمون أن یبتکروا الطرق المختلفه للمجاهده کالجوع و الایثار، و العمل مع العامه فی الحرف و الصناعات، و الخروج عن الأملاک، و السهر، الی غیر ذلک من وسائل المجاهده [صفحه ۶۸] المشروعه. و حتی آل البیت أنفسهم کانوا

يجاهـدون أنفسـهم بين الحين و الحين فى مسأله المال للحفاظ على ملكه خلو القلب من حب الدنيا، فقد قاسم الامام الحسن ربه مـاله ثلاث مرات، و قاسم زين العابـدين ربه ماله مرتين و ما كان هـذا الا تـدريبا على تجربه النفس فى التخلى لئلا تأبى يوما من الأيام. و الزهـد يشـمل المال و الجاه و النفس، و لا يتحقق الا بهذه الأركان الثلاثه، فكم من زاهد فى المال غير زاهد فى الجاه و الرئاسه، و كم من زاهـد فى المال و الرئاسه غير زاهـد فى نفسه، بل يثور لها و يحمى أنفه ان نال منه أحـد. و لقد رأينا أن الامام زين العابـدين كـان زاهـدا فى الجـاه، و نـادى مرارا بـأن الشـيعه كـذبوا فيما ينسـبونه اليهم مما ليس فيهم، و قال مرارا: «نحن من صـالحى قومنا، و كفانا أننا من صالحى قومنا». و قال: «ما أرضـى أن يكون لى بنصـيبى من الـذل حمر النعم». و اعتـذر للصـغير و الكبير، و سـعى الى العامه يغدق عليهم جزاء لما نالوه به من السوء. و كدليل على زهده زخرت سيرته بوقائع الكرم التى لا تكون الا لزاهد قد تخلى عن حب الدنيا فلم يشـغله منها متاع، و لم يحرص منها على شـى ء. و كان عميق الفهم فقيه القلب فى كشـف الأـقنعه الـتى يتستر وراءهـا المحبون للـدنيا العاقـدون قلوبهم على حبهـا، فيقول: «انى لأسـتحى من الله عزوجـل أن أرى الأـخ من اخوانى فأسأل الله له الجنه، و أبخـل عليه بالـدنيا، فاذا كان يوم القيامه قيل لى: فاذا كانت الجنه بيـدك كنت بها أبخل و أبخل و أبخل». و انما يعنى زين العابدين بهذا القول غيره ممن يبذلون الجنه لاخوانهم بالدعاء و الابتهال،

و يبخلون بما هو أدنى و أدنى من الجنه من حطام الدنيا، فهم كاذبون فى دعواهم رجاء الجنه لاخوانهم، و آيه كذبهم بخلهم بالدنيا. و من هذه النافذه التى فتحها الامام نستطيع أن نطل على دنيا الدعاوى الكاذبه فى العلاقات الاجتماعيه بأسرها. فبذل الدنيا آيه صدق النصح للمسلمين، و حب الخير لهم، و كراهه الشر أن يقع بهم، و من أجل الدلاله على ذلك كان زين العابدين يقدم دليل الحب بين يدى العطاء. فيروى أبونعيم: أنه كان اذا ناول الرجل الصدقه قبله ثم ناوله. فالقبله تعبير عن الحب المتبادل بين المؤمن و المؤمن، و العطاء دليل الحب الذى لا يكذب، أما الدعاء دون عطاء، و أما رجاء الخير مع الامساك و الشح فهو كذب و نفاق فى القلب لم نجد من فكر فى [صفحه ۶۹] كشفه بهذا الميزان الدقيق قبل الامام زين العابدين. كانت مقاييس الناس قد اضطربت فى عصره، و لا زالت مضطربه الى عصرنا الحاضر، اذ كان يقاس الناس بما يحرزون من الدنيا، و على مقدار ما يحرز الانسان منها تكون منزلته. و هذا خطأ يوقع فى كبريات المشاكل، و يهدم الكثير من القيم، و يظلل الكثير من الناس فى حياتهم و معاملاتهم. و قد وضع الامام ميزانا لأقدار الرجال حينما سئل: أى الناس أعظم خطرا؟ فقال: «من لم ير الدنيا لنفسه قدرا». فهو لا يعنى أن أعظم الناس خطرا هو المجرد من الدنيا، ولكن أعظمهم خطرا هو الذى لا يبنى قدره و منزلته على أساسها، و من ثم فهو الباذل لها، و المؤثر غيره بها، لأنه اذا لم يرها لنفسه قدرا جاء بها و انحلت قبضته عنها. و قد اعتبر الامام السخاء مقياسا

للسیاده فی الدنیا اذا اقترن بالتقوی، فالسخی الفاجر جبار فی الأرض یذل غیره بعطائه، و یستغل حرماته جزاء لنواله، أما السخی التقی فهو أشد حیاء فی حال الاعطاء من طالب النوال فی حال السؤال، و فی ذلک یقول الامام: «ساده الناس فی الدنیا الأسخیاء الأتقیاء، و فی الآخره أهل الدین و أهل الفضل و العلم الأتقیاء، لأن العلماء ورثه الأنبیاء». و مما لا یحتاج الی بیان أنه ما أراد بالعلماء الا العاملین بالعلم الذین خالطت الخشیه قلوبهم، و لم یرد بهم أولئک الجامعین للعلم الملمین بشوارده دون عمل، فالعالم التقی عامل، و لا سید فی الآخره غیره. و هو یعتبر البذل و العطاء عن کرم توبه من الذنب، وداعیا لغفرانه من الله تعالی، تصدیقا لقوله فی کتابه الکریم: «ان الحسنات یذهبن السیئات». و لذلک کان یقول حینما کان یقاسم الله تعالی ماله: «ان الله یحب المؤمن التواب». و لم یکن یحتاج الی وقت للتفکیر فیما یبذل أو فیما یکرم به اخوانه أو عبیده، بل کان سریع الاجابه و کأنه یلقی أذی ینفر منه و یزدریه. روی عبدالرزاق قال: سکبت جاریه لعلی بن حسین ماء لیتوضأ، فسقط الابریق من یدها علی وجهه فشجه، فقالت الجاریه: و الکاظمین الغیظ. قال: کظمت غیظی. قالت: و العافین عن الناس. قال: عفوت عنک. قالت: ان الله یحب المحسنین. قال: أنت [صفحه ۷۰] حره لوجه الله. و کان یشمل بعطائه أعیان العصر و أبناء الصحابه، و یتحمل عنهم دیونهم بالغه ما بلغت، فقد دخل علی محمد بن أسامه ابن زید فی مرضه، فجعل یبکی. فقال: ما شأنک؟ قال: علی دین. قال: ما هو؟ قال: خمسه عشر ألفا قال: فهو علی. و هذا

دلیـل آخر علی حرص الامام علی مکان ابن أسامه بن زیـد من الجنه بحیث لا یعکره الـدین الـذی لا یکفر الا بالشـهاده، و دلیل علی دناءه شأن الدنیا عند الامام ببذله هذا القدر الهائل من المال عن أخیه المؤمن. و لم یکن یقبل أن یستغل منصبه فی المجتمع فی قبول عطایا الخلیفه، فعطاؤه المقرر له بین أهل البیت وحده هو الذی کان یقبله دون من من الخلافه، فهو حق کسائر الحقوق، فاذا ما اقترض من الخلیفه شـیئا فانه کان یعده له لیرده مشکورا. قال عبدالله بن علی بن الحسین: لما قتل الحسین قال مروان لأبی: ان أباک کان سألنی أربعه آلاف دینار فلم تکن حاضره عندی، و هی الیوم عندی مستیسره، فان أردت فخذها. فأخذها أبی، فلم یکلمه أحـد من بنی مروان فیهـا حتی قـام هشام فقال لأبی: ما فعل حقنا قبلکم؟ قال: موفر مشـکور. قال: فهو لک. و قمه جوده و سخائه صـنیعه الـذی کان یصـنع مع عامه الناس من أهل المـدینه. قال ابن اسـحاق: کان ناس بالمدینه یعیشون لا یدرون من أین یعیشون، و لاـ من یعطیهم، فلما مات زین العابـدین فقـدوا ذلک، فعرفوا أنه هو الـذی کان یأیتهم باللیل بما یأیتهم به. و لما مات وجدوا بظهره آثارا سوداء من أثر حمل جرب الطعام الی بیوت الأرامل و المساکین. و قالوا: انه کان یعول بهذه الطریقه مائه بیت فی المـدینه. و کان حریصا علی اخفاء صـدقته علی هذه الصوره فی جنح الظلام لهدف یراه و یؤمن به أوضـحه فی قوله: «صدقه اللیـل (و فی روایه: السـر) تطفی ء غضب الرب، و تنـور القـبر، و تکشف عن العبـد ظلمه یوم القیـامه». و قـد تواترت الروایـات و تعددت وجوهها فی

صدقاته الليليه هذه. قال ابن عائشه: ما فقدت صدقه السر حتى مات على بن الحسين. [صفحه ۷۱] و روى الطبرانى عن عمر بن الحارث: لما مات على بن الحسين وجدوا بظهره آثارا سوداء، فقالوا: ما هذا؟ قالوا: كان يحمل جرب الدقيق بالليل يعطيها الفقراء. و لم يكن يخشى الفقر من كثره العطاء و البذل، و انما كان يخشى الفقر من فضل الله عليه و موالاته اياه، و كان من دعائه فى ذلك: «اللهم ارزقنى موالاه من كثرت عليه رزقك بما وسعت عليه من فضلك». و كان لا يرى أخذ الأجر على العلم، و يعتبره من أبواب حب الدنيا، فيقول: «من كتم علما أو أخذ عليه أجرا أو رفدا فلا ينفعه أبدا». هذا منهاج الامام فى مسأله المال و الجاه، بذل و زهد و براءه من الحب و الحرص، فما أثر هذا المنهاج فى بناء المجتمع فى عصره و بعد عصره؟ و ما الأخطار التى تتهدد المجتمع من جراء اهماله؟ و القضيه هى نفس القضيه الرئيسيه التى ثارت بين على رضى الله عنه و أهل بيته و بين بنى أميه، أى بين الامام على و معاويه بن أبى سفيان من حيث استعداد كل منهما لطبائع معينه تصلح فى أحدهما لزعامه دين، و تصلح فى الآخر لزعامه زمنيه. فالامام و نبوه منذ حداثتهم زهاد لا يعقدون قلوبهم على حب الدنيا، و الامام هو الذى امتدحه الله تعالى فى كتابه الكريم على خليقه البذل و الايثار فقال تعالى: (و يطعمون الطعام على حبه مسكينا و يتيما و أسيرا (۸) انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء و لا شكورا (۹))[الانسان:۸، ۹]و على هذا ساربنوه من بعده، و بهذا أمر الاسلام،

فكانوا أحق الناس و أصلحهم لزعامه دين يسوس دوله. و معاويه مع كونه صحابيا كان يميل بطبعه الى الجاه و الملك و العظمه، و الظهور بمظاهر الملوك المجاورين لجزيره العرب، حتى لقد كان يحاول أن يستصدر من عمر بن الخطاب رضى الله عنه موافقه على الظهور بمظهر الأبهه فى مواجهه الروم، و كان يحتج لاقتراحه هذا بحجج حيرت الخليفه فقال له أخيرا: «لا أمرك و لاـ أنهاك». ورد الخليفه عمر رضى الله عنه على معاويه على هذه الصوره ليس جهلاـ من عمر بما يصلح لسياسه الدوله فى الاسلام، و هو امام أهل الاجتهاد المكلم، الذى وافق القرآن الكريم على رأيه. فهو لا ينهى معاويه عن مسلكه باعتباره مسلكا يمكن أن يرقى بدوله الاسلام ولكن [صفحه ۷۲] مع وال لاـ يهيم بالأبهه و العظمه و لاـ يتعشقهما، و لم يأمر معاويه بتنفيذ مقترحاته لأنه كبنى أميه كان هاويا للأبهه و العظمه و مظاهر الملك و السلطان. و عمر نفسه كان يرى العظمه و العزه فى الاسلام نفسه، و لذلك لما زار جبهه القتال و كان عليها أبوعبيده، شمر عمر عن ساقيه و خاض الماء الى القائد، و لما لفت القائده نظره الى أن العدو بازائه و لا يحسن أن يرى أمير دوله الاسلام يخوض الماء بقدميه قال له: «دعنا منك، نحن قوم قد أعزنا الاسلام». و على هذه السياسه مضى الامام على كرم الله وجهه، لاـ يرى عزا فى الاسلام، و لا جاها و لا سلطانا الا فى مخالفه ما كان عليه ملوك الأمم فى عصره، و اثيارا لتواضع و الزهد و البذل، على الكبرياء و جمع المال و الاستكثار منه. على أن الاسلام باعتباره

ختام الرسالات السماویه، یحمل فی ثنایا أصوله أمرا صریحا بمواصله القتال و الجهاد، و العمل علی سیادته علی العالم کله علی مدی العصور و الأزمان. و هذه المهمه الشاقه العظمی لابد أن تقترن بالوسائل التی تجعلها أمرا میسورا یتسارع الناس الیه، و لا یساقون الیه سوق علی کره. و کانت تلک الوسائل المقرره شرعا هی: ۱ – ضمان الکفایه من وسائل الانتفاع لجمیع أبناء الأمه. ۲ – أن یکون هذا الضمان بطریقه تحفظ کرامه المسلم، و لا ـ تذله، حتی تبقی حالته المعنویه علی درجه من القوه و الکفایه للحرب. ۳ – توثیق روابط الحب بین أبناء الاسلام جمیعا حتی یصیروا کالجسد الواحد. ۴ – العمل علی قمع خلق التجبر الذی یقف حائلا ـ دون اهداف ایجاد حالات من العداء الناشی ء من استغلال المتجبر للفقیر أو لعرضه، أو تسخیره فی أعمال غیر مشروعه للحصول علی الکفایه من الرزق. ۵ – و أولا ـ و أخیرا: وجوب الجهاد بالمال و النفس و الفکر و کل القوی البشریه فی سبیل الله. و لضمان نجاح هذه المهمه السامیه شرعت الزکاه حقا للفقیر لا منا و أذی من دافعها، و شرعت الصدقات الحره بآدابها التی تحفظ کرامه المسلم، و شرع الزهد فی الدنیا و ایثار الآخره علیها، و المساواه بین الجمیع فی الحقوق مع الاحتفاظ بمقادیر المواهب المتفوقه [صفحه ۷۳] للأعمال القیادیه العامه. و کان الزهد و التقلل من وسائل الانتفاع وسیله لتحقیق الجهاد فی سبیل الله لنشر الاسلام فی أی زمان مستقبل قد یحتاج المسلمون فیه الی جهود مالیه ضخمه کما هو الحال فی عصرنا الحاضر ولکن بکل أسف نحتاج الیه لصد طامع مغیر أو محتل لأرض المسلمین بالفعل لا

لنشر الاسلام فى ربوع أخرى كما أمرالله، و ما كان الأصل الذى ترجع اليه أسباب الأنتكاس الا الحرص على المال و حبسه عن وجوهه المشروعه، و استبداد النفس بالمسلم لانفاقه فى وجهه غير مشروعه من الشهوات و الملذات. و لقد بدأ انتكاس المسلمين عن طريقهم منذ عهد بنى أميه. و يكفينا فى هذا الصدد أن نورد خبراء جاء فى «أسد الغابه». و غيره من المراجع يقول: ان قاتل الامام الحسين جاء الى فسطاط أمير الجيش و هو عمر بن سعد بن أبى وقاص، فوقف عليه و أنشد: أو قر ركابى فضه و ذهبا فقد قتلت السيد المحجبا قتلت خير الناس أما و أبا و خيرهم اذ ينسبون نسبا فقال له عمر بن سعد: ويحك، تقول هذا الكلام؟ لو سمعك زياد لقتلك. أشهد أنك مجنون، و حذفه بقضيب كأن معه. و عمر بن سعد هذا الذى استعظم مقاله سفان بن أنس الذى اشترك فى قتل الحسين حينما سمع منه هذا الشعر، هو نفسه الذى أمر نفرا فركبوا خيولهم و أوطأوها الحسين الشهيد. و ثار زيد بن أرقم حينما رآى ابن زياد ينكت بين شفتى الحين بقضيب فى يده و خرج يقول: أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمه، و أمرتم ابن مرجانه، فهو يقتل خياركم و يستعبد شراركم. على هذه الصوره من الاضطراب و اختلال القيم بدأ الناس طريقهم فى عصر بنى أميه، و غنى عن البيان أن التيار قد اجترف أبناء كبار الصحابه من أمثال عمر بن سعد بن أبى وقاص الذى ازدوج تفكيره هو الآخر على الصوره التى نراها فى القصه السابقه. أصبح المال مطلوبا بحيث يذبح فى سبيله الساده خير الناس أما و أبا بعد أن كان

مطلوبـا لاسـتخدامه فی ذبـح أهـل الکفر أو المتطاولین علی خیر الناس أما و أبا. و لابـد أن یتبع هـذا الجشع الی المال شـح به، و حبس له عن مصارفه المشروعه، و توجیهه الی مصارف [صفحه ۷۴] غیر مشروعه، و من هنا بدأ تهدید أصل من أصول الاسلام هو: الجهاد بالمال فی سبیل الله، و اذا انعقد القلب علی حب المال فان الجهاد بالنفس فی سبیل الله أصـبح هو الآخر هدفا للتهدید بالانهیـار. و اذا شـحت النفـوس بالمـال دب الحقـد فی القلـوب، و تعـددت الوسائـل المحرمـه للوصـول الیه، و أثری البعض ثراء فاحشا، و من علی الفقیر بما یعطیه من سقط المتاع، و انحلت وحده الأمه، و فقدت فاعلیتها فی میدان الجهاد المفروض. من أجل ذلـک کـان لابـد من منهـج معـارض، و أن تکون المعارضه بناءه تتبنی أصل الاسـلام و لا تحیـد عنه الی الباطل السائـد، و کان زعماء المعارضه دائما هم آل البیت النبوی و من سار علی نهجهم مدی الأیام. أما أن المعارضه لم تسـتطع فی ذلک العصر کبح النفوس الحـافحه وردهـا الی الصواب بحیث یعود الاسـلام و دوله الاسـلام ألی الأصـل الـذی کـانت علیه فی الصـدر الأول، فما ذلک الا لأن من المعلوم للجمیع أن الفساد أسـرع و أشد سـیطره علی النفوس من الخیر، و أن العوده بالنفوس الی أصـلها یحتاج الی وقت طویل، و قرون عدیده حتی یمکن أن یقتنع العالم الاسـلامی بصوره جماعیه بفساد المنهاج الذی کان علیه، و بضـروره العوده الی الأصـل، و التخلی عن هوی النفس السائـد. فمن غیر المعقول أن یتم اقناع المجتمع کله فی تلک الفتنه العمیاء، ولکن الذی نجح فیه الامام و من سار علی

نهجه هو تكوين مدرسه واعيه لمنهج المعارضه عميقه الفقه لأصول الاسـلام و أهدافه المحليه و العالميه، تنقل ذلك المنهج الى الطلاب على مدى الزمن، حتى لا يكون عصـر من العصور عاطلا من المعارضه البناءه، و هو ما حدث بالفعل. لقد تناقل العلماء و المعلمون مبادى ء المعارضه حتى وصـلنا الاسـلام سليما من كل زيغ، واضح الأهداف، و انكمشت على مدى هذا الزمان الطويل بفضل تلك المعارضه كل المـذاهب الـدخيله التى كانت تعمل جاهـده فى القضاء على العقيـده ذاتها، و لم يبق منها الآن غير أو شاب تتضاء بمرور الزمن ليحل محلها دين الله القيم. فما من بلد من بلاد الاسـلام الآن الا وصوت المعارضه يرتفع بين أبنائه مهيبا بالمسـلمين أن يعودوا الى أهـل سـلوكهم الـذى قامت عليه حضارتهم. و قـد جمعت المعارضه أصل السـنه و الفقهاء السـنيين، و معتـدلى الصـوفيه فى اطـار واحـد من الـدعوه الجاده للعوده الى السـلوك الأول للمسـلمين. [صـفحه ۷۵] و لئن كـان الصـوفيه باعتبـارهم أول من حمـل رسـاله الزهـد و توجيه المال الى وجوهه المشـروعه، و كبـح جماح النفوس قـد شـملهم التطرف بعض الزمن، و اتجهوا الى التصوف النظرى، و أيـدعوا الحـديث عن المقامات و الـدرجات فى الوقت الـذى أهملوها سـلوكا، و خلطوا المقامات بالخرافات أحيانا، و حاول منحرفوهم الحجر على العقول لئلا تعترض سـلوكا فاسـدا، لئن كان ذلك كـذلك فان دعوه جاده تأخـذ مكانها الآن الى تجريـد التصوف من تلك الشوائب، و عرضه نقيا واضـحا سـليما على النحو الذى نقله آل البيت عن آبـائهم عن جـدهم صـلى الله عليه و سـلم. هـذا هو فضل الامام السـجاد، و فضل أبنائه، و فضل أبناء عمه الامام الحسن، و فضـل العقلاء من طلابهم

و مریـدیهم لا یرتاب فیه اثنان. ولو أنهم انـدمجوا فیما ساد فی عصـرهم من أهواء لما کانت بلاد الاسـلام علی الوضع الـذی نراه الآـن. ان وضع أمم الاسـلام لاـ یرضـی المؤمن الحق، ولکن هـذا التـدهور مـا کان الا بفعل الاغراء بالـدنیا، و انعقاد القلوب علی حبها، ذلک السـلوک الـذی أسـسه بنوأمیه عن قصـد أو عن غیر قصد، فالله أعلم، ولو تکن تعالیم الاسـلام الحق قد وصـلتنا علی أیدی أهل البیت و بقیه الصـحابه کان الحال أسوأ و أسوأ، و لکانت سائر بلاد الاسـلام قد لقیت مصیر أسبانیا الأمویه الأساس، و التی انـدثر فیهـا الاسـلام تمامـا. نعم، اننـا لم نصـل الآـن الی درجه السـلوک العملی للمسـلمین الأوائل، ولکننا وصـلنا الی ظهور أصوات کثیره تدعو الیه، و تؤکد جدواه فی میدان السـیاسه الاسلامیه العالمیه المفروضه علی المسلمین. و لازلنا نجد فی القلوب غضاضه من قبول مبدأ البساطه فی الحیاه الی أقصـی حد ممکن، بحیث یکون المؤمن نظیفا فی هیأته و مسکنه و مأکله بأبسط ما یمکن من التکالیف، لا سـیما و أن انحلال الأمم الأوروبیه یغزونا بمختلف البـدع التی تثقل الکواهل، و تسـتنزف الأموال فی غیر وجوهها. و مع ذلک فان الدعوات المعارضه تشـتد و تتآزر مع النکبات التی یضـرب الله تعالی بها أمم الاسـلام، و سـیکون لنا ان شاء الله من ذلک کله درسا قاسیا یصلنا بأصول الاسلام الناجمه فی بناء الحضاره. و لا یجوز أن یحتج راغب فی الترف بأن الامام زین العابـدین و الکثیر من آل البیت کـانوا یلبسون فـاخر الثیاب، فهـذا احتجاج باطل. [صـفحه ۷۶] فقـد کان زین العابدین کما رأینا یبیع تلک الثیاب الفاخره بعد الشتاء، و یتصدق بثمنها علی الفقراء. فهل هو ترف

آخر أن يبيع الثياب ليشترى بـدلا منها فى عامه القابل؟ أم ان هناك سـرا فى هـذا السـلوك يخـدم الهـدف الذى تبناه و خطط له تخطيطـا دقيقا؟ الحق أن السـجاد و آل البيت كان لهم محبون قـد شـغفوا بهم و هاموا حتى دفعهم الحب الى اخراجهم عن نطاق البشـر، و كـان جـل هؤلاء الغلاه من غير العرب، و كانوا على جانب من الثراء، فلا شك فى أن ثوب الامام السـجاد الـذى اشتراه بخمسـين دينارا كان يباع بأضعاف هذا الثمن التماسا لبركته، و نحن لا نزال نرى فى عصرنا كيف أن آثار العظماء، و أسماء أهل الفن تبلغ أسـعارا خياليه فى الأسواق، و الانسان هو الانسان، و لا زالت شـعرات قالوا: انها من شعر رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الهنـد هـددت بحرب دمويه حين سـرقها بعض النـاس. اذن هى محـاوله لاخراج المال من الخزائن للعوده بها على مسـتحقيها ولكن بوسـيله أخرى اذ لم تجد وسـيله الأمر و النهى المقرره فى الاسلام. لم يكن الامام مترفا و لا شحيحا، بل كان المثل الأعلى للزهـد فى الـدنيا، كمـا كـان المثـل الأـعلى للجود بهـا على كـل طـالب محتاج، و كان اذا رآى السائل قام اليه فأعطاه و قال: «ان الصدقه تقع فى يد الله قبل أن يد السائل» ثم يومى بكفيه. و فى مجال الكرم كان يسوى بين الصـغير و الكبير فيه، و روى نصر بن أوس فى ذلك: أنه كان يدخل يده فى التمر فيعطى الكبير و المولود سواء. [صفحه ۷۷]

السجاد

لابـد أن يكتمل منهـج الامام زين العابـدين الـذى هدف منه الى البقاء على الاسـلام النبوى، و الى الرغبه فى وصوله كما هو الى الأجيال

القابله من المسلمين. و الاسلام ليس عمرانا فى مجال الماده التى تخدم شريعه الجهاد حسب، بل هو عمران روحى يدوم المسلم به على صلته بربه اتصالا روحيا، بحيث يتخلى بعض الوقت عن كل شى ء فى الوجود الا عن مناجاته لربه و الانخلاع من أوضار الفكر المادى حتى ولو كان هادفا الى خدمه الاسلام. و الجانب الروحى فى الاسلام يعتبر بمثابه تجديد للوعى الدينى الأصيل خشيه أن تعدو عليه شئون الحياه فتحوله الى نظريات يجيد المسلم الكلام عنها، و لا يجيد تطبيقها. و هذا التحديد الدائم للوعى الدينى فى الواقع هو الحافز العميق فى الانسان، الذى يدفع به الى تتبع آداب الاسلام الأخرى، و تطبيق دستوره المادى فى عزم و اخلاص بدافع الحال الذى يحسه المؤمن بعد كل تجربه روحيه عباديه. و هذا الحال عباره عن: تذوق خاص لأعمال العباده، و احساس بما يفيض من الغيب على العابد من فيض لا يخضع فى التعبير عنه لقيود اللغه، لاختلاف ألوانه باختلاف العبادات. ولكنه على أى موجات من الرضى أو الحبور، أو الشهود القلبى تدفع الانسان الى الاستزاده من العمل، و محاوله تخليصه من كل آفه حتى يصل العابد الى الحال مصفى من كل كدر، و يصبح «مقاما» و ملكه من ملكات المؤمن ينعكس نورا فى قلبه، و ذكاء فى عقله، و علما يفيض على القلب بلا أستاذ، وفقها عميقا فى الآفاق و الأنفس تقصر دونه العبارات، و أخيرا قوه عارمه فى الباطن و الظاهر لا تدانيها قوه. قوه فى ذات الانسان، و قوه فى تسديد الدعاء و الوصول به الى الله تعالى خالصا لا تعوقه عن الاجابه آفه عائقه. و لذلك كله اختار الامام زين العابدين نقش خاتمه

«القوه لله جميعا». و فى هذا الاختيار براءه من الحول و القوه، و توجه كلى الى الله فى كل الأمور يتأكد معها اجابه الدعاء الخالص الذى تزول به حينئذ الجبال كما جاء فى السنه، و الذى تسرى بركاته الى كل من دعابه، لأنه كان من قلب فياض يحمل الكلمات من روحه ما يؤثر به [صفحه ۷۸] فى قلوب الآخرين دون شک. و سنشير الى نموذج من ذلک أثناء هذا الفصل ان شاء الله. أطلقو على الامام على بن الحسين ألقابا كلها تشير الى أنه كان قمه فى الوعى الدينى الأصيل كما كان قمه فى منهاجه الذى تبناه فى الاصلاح المادى. سموه «زين العابدين»، و سموه «السجاد». و ما ذاک الا لأنه اختار الصلاه و السجود يفرق روحه فيها، و يغترف من معين فيضها ما شاء الله حتى صار بحق زين العابدين على الاطلاق. لم يؤثر عنه كثره الصيام، و لا- تشجيع على القتال، ولكنه اختار الصلاه لأنها جماع العبادات كلها، لا توجد عباده الا و فى الصلاه منها شى ء. فيها من الصوم حقيقته ببطلانها مع الطعام، و معناه ينقصانها مع التفكير فى غيرها و غير ما فيها من مناجاه و أذكار، و فيها من الحج التوجه الى البيت، و وحده القصد، و فيها من الجهاد جهاد النفس و العقل و القلب على التخلى عن كل شى ء فى الوجود، و فيها من العلم أنه ليس لک منها الا ما عقلت و فقهت من معانى أذكارها و حركاتها، و فيها من الزكاه حرمان البدن من النوم و الراحه فى سبيل الله. و الصلاه أعظم العبادات قدرا على الاطلاق، فما من عباده الا و يجوز أداؤها مع الحركه و

الکلام و التحرر الجسدی الا هی فلا یجوز فیها کلام و لا حرکه و لا مزاوله أی شأن من شئون الحیاه. و لذلک اختارها الامام زین العابدین مجالاـ حیا تحلق فیه روحه ما شاء الله لها من التحلیق، و تغترف منها ما شاءت من معین الحب الذی لا ینضب. و تجمع الروایات علی أنه کان یصلی فی الیوم و اللیله ألف رکعه. و نری أن العدد المروی ما قصد به الا أنه کان یکثر من نافعه الصلاه بما لاـ یعهد فی غیره من العباد و أهل الفضل، لأن هذا العدد من الرکعات یمکن أداؤه فی أربع و عشرین ساعه بواقع دقیقه و نصف دقیقه تقریبا للرکعه الواحده. و قد کان الامام یجلس للناس، و یشتغل بالعلم، و یری أهل بیته و أبناء عمه، و ینام، و یطعم، کما أنه لیس من دأبه الاسراع فی الصلاه، بل کانت له سجدات طوال یفرق روحه فیها بالمناجاه و الدعاء. فعلی أی حال لقد کان الامام متفوقا علی غیره فی نوافل الصلاه و قیام اللیل، معینا بالصلاه عنایه خاصه، حتی لقد کان یتتبع الصغار من آل البیت و یحثهم علی الصلاه اذا بلغوا السابعه من العمر. قال ابنه الحسین بن علی: دخل علینا علی بن الحسین و أنا و جعفر (حفیده) نلعب [صفحه ۷۹] فی حائط (بستان) فقال أبی لمحمد بن علی: کم مر علی جعفر؟ (یعنی من العمر) قال: سبع سنین. قال: فمروه بالصلاه. هو یرید أن ینشأ أهل البیت علی الصلاه منذ الصغر لیدرکوا ما فیها من صقال للنفس، و ابراز لجوهر الروح، و وعی کامل للاسلام لا سیما اذا کانت من صلاه اللیل التی أمر النبی صلی الله علیه

و سلم بها الليل كله الا قليلا، بحيث لا يقل وقت صلاه الليل عن نصف الليل الا قليلا، و يزاد على ذلك حسب الاستطاعه، قال تعالى: (قم الليل الا قليلا (٢) نصفه أو انقص منه قليلا (٣) أو زد عليه و رتل القرآن ترتيلا (۴))[المزمل:٢، ٣، ۴] و لأمر ما كانت صلاه الليل أكثر الصلاه بركه، و أصغاها مناجاه، و أجملها عائده على العقل و الروح، بل و على الشكل العام للانسان، حتى لقد أفردها عباد السلف بالعنايه، و تسابقوا اليها، و استكثروا منها، و قالوا فى تعليل الجمال الفائض على القلب منها الكثير، و جاء فى السنه قدر كبير من الأحاديث التى تحث عليها، و تصور ثوابها و فوائدها بما يدفع الانسان اليها بقلبه و روحه و كل أحاسيسه. و لشغف الامام زين العابدين بالصلاه شغف كذلك بالمناجاه لله تعالى فى المواطن المباركه كالكعبه، و عند السجود، و له فى تلك المناجاه أساليب تنم عن روح صوفيه رفيعه و ذوق فياض جميل و اخلاص لا نجد له نظيرا الا بين أفراد قلائل من عباد المسلمين. و لشده اخلاصه فى مناجاته تلك كانت بركاتها تسرى كما قلنا الى كل من قلدها، و ناجى ربه بها محاولا أن يصل الى أقصى ما يمكن الوصول اليه من الاخلاص فيها. قال طاووس بن كيسان: سمعته و هو ساجد عند الحجر يقول: «عبيدك بفنائك، سائلك، فقيرك بفنائك». قال طاووس: فوالله ما دعوت الله بها فى كرب قط الا كشفت عنى». و لقيه الحسن البصرى فى الكعبه، و كان زين العابدين ملثما يبكى و يتضرع و ينشد: ألا أيها المأمول فى كل حاجه شكوت اليك الضر فارحم شكايتى ألا يا رجائى أنت

کـاشف کربتی فهب لی ذنوبی کلها واقصـد حاجتی فان الیک القصـد فی کل حاجه و أنت غیاث الطالبین و غیاتی قال الحسن: فقلت: یا سـلاله النبوه، ما هـذه المناجاه و البکاء و أنت فی أهل البیت؟ [صـفحه ۸۰] و قال الله عزوجل: «لیـذهب عنکم الرجس أهـل البیت و یطهرکم تطهیرا». قـال: «دع یـا بن أبی الحسن. خلقت الجنه لمن أطـاعه ولو کـان عبـدا حبشـیا، و خلقت النـار لمن عصاه ولو کان حرا قرشیا، و قال صـلی الله علیه و سـلم: ایتونی بأعمالکم لا بأنسابکم». و قال محمـد بن کعب القرظی: کنت فی مسـجد الکوفه بعض اللیالی. فأتی علی بن الحسین زین العابدین رضی الله عنه فی نصف اللیل حتی بلغ باب المسجد و هو یقول فی بعض مناجـاته: «یـا حبیبی و قره عینی، غلقت الملوک أبوابهـا، و طافت علیها حراسـها، و بابک مفتوح». ثم دخل المسـجد و صلی. و لا شک أن هـذا اللقاء بین محمـد بن کعب و الامام قـد کان فی غیر الکوفه، لأنه لم یذهب الی الکوفه فیما نعرف، و لا سبیل الی انکار الواقعه لهذا الخطأ، فالأسـلوب أسـلوب الامام الرقیق الذی تمیز به فی مناجاته. و من مناجاته أیضا: «یا موضع کل شکوی، و سـامع کـل نجوی، یا شافی کل بلوی، یا عالم کل خفیه، و یا کاشف ما تشاء من کل بلیه، أدعوک دعاء من اشـتدت فـاقته، و ضـعفت قوته، و قلت حیلته، دعـاء الغریب الفقیر الـذی لاـ یجـد لکشف ما هو الا أنت یا أرحم الراحمین، لا اله الا أنت سبحانک انی کنت من الظالمین». و کان یقول فی سجوده: «اللهم ان کنت عصیتک فانی قد أطعتک فی أحب الأشیاء الیک و

هو الایمـان بـک منـا منـک، لا ـ منا علیک». و نحن نلاحظ فی دعاء الامام کما تری مسـحه عن الاعتراف بالـذنب، و مسـحه من الحـاجه الملحه الی الله تعـالی فی صوره لا ـ تقنع الا ـ به، و هـذه المسـحه هی الـتی سـماها الصوفیه فیمـا بعـد بـالفقر، و أفردوا لها البحوث، و شققوا فیها الکلام. و لقد ورد الفقر فی القرآن الکریم فی مواضع عده أهما هنا قوله تعالی: (یا أیها الناس أنتم الفقراء الی الله و الله هو الغنی الحمیـد (۱۵))[فاطر: ۱۵] و الفقر فی الآـیه یشـمل الفقر المادی، و الفقر المعنوی علی السواء: و الامام یلجأ الی الله لجوء من اشـتدت فاقته، و أحاط به الکرب فلیس له الا هو سـبحانه: و انما یعنی بـذلک الفقر المعنوی الـذی تحـدث عنه الصوفیه. و هـذا النوع من الفقر أثر من آثـار اقامه الصـلاه علی وجهها الصـحیح، و التسامی بالروح [صـفحه ۸۱] من خلالها الی الأفق الأعلی الـذی یرتـد الانسان بعـد التحلیق فی أجوائه حسـیر اکسـیرا عارفا بقـدره کانسان عاجز بسـیط محتاج مهما أوتی من المال و الجاه و القوه علی مقارعه المشـکلات. فالفقر الذی کان یشـعر به الامام هو: الاحساس بالحاجه الی الله عن یقین و صدق فی کل الحرکات و السـکنات، بحیث یبطل حول الانسان وقوته، و تعـدد الأعمال الانسانیه کلها بما فیها من جهد و صبر الی الله، فهو سـبحانه الـذی وفق للعمل، و هو الـذی أخذ بالناصـیه رکوعا و سـجودا و قیاما، و هو الفعال فی کل شـی ء بجهد عبده الذی منحه ایاه. فاذا استقر هذا الشعور - و هو من ثمرات الصلاه ظاهرا و باطنا - آمن الانسان بأنه عاجز لولا قوه الله

تؤازره، و بأنه مذنب لو لا غفران الله يظله، و بأنه مقصر لولا رحمه الله تتغمده، و هذا هو الفقر الحقيقى السائد فى مناجاه الامام، و منه كان الشعور بالذنب الذى يدمن زين العابدين الابتهال الى الله فى غفرانه. ليس ذنبا ناشئا عن ارتكاب كبيره، أو مقارفه مكروه، ولكنه شعور الفقير الحق الى الله بأنه لم يفعل شيئا يؤدى به حق الله، و لا حق الشكر على ما وفق من عمل. و هو مع كل ذلك الخوف و الاشفاق من شبهه الاستقلال بالعمل، أو استعذاب الحال الفائض أثناءه أو بعده، أو عدم مطابقه الظاهر للباطن فى أداء الأعمال، و هو ما أشفق منه الامام السجاد حين كان يقول: «اللهم انى أعوذ بك أن تحسن فى لوائح العيون غلانيتى، و أن تقبح فى خفيات العيون سريرتى». و لقد عبر الامام عن شعوره بالذنب الخفى الذى هو من ثمار مقام الفقر حين قال للرجل الذى وقع فيه و أساء اليه: «يا أخى، ما ستر الله عنك من عيوبنا أكثر». و لم يكن للامام عيوب مما يسميها الناس عيوبا قد سترها عن الناس الا تلك المشاعر الساميه التى تدخل فى باب «حسنات الأبرار سيئات المقربين». و لعل شعوره بالذنب كان كما قلنا قبلا لأنه لا يستطيع القيام بحق الجهاد و النصره للاسلام الى فى ذلك النطاق الذى غير حياته كلها يعمل فيه. على أن المشاعر التى كانت سائده فى عصره كانت تثق فى المال و الجاه ما لا تثق فيما عندالله من عون أو ثواب. و حتى الخلفاء أنفسهم قد اتسمت جميع أعمالهم بالماديه [صفحه ۸۲] يقيسون الأمور بها، و يعتبرونها مقياسا للعظمه فى دوله الاسلام. كان المجتمع

على الصوره التى أفصح عنها الحارث بن أسد المحاسبى بعد عصر الامام حين قال: «لو قيل لأحدهم: هل لكم فى الدنيا حراما، و تحاسبون عليها فى الآخره لرضوا». كانوا يحبون العاجله و يذرون الآخره، فأكثر الامام من المناجاه، و اتسمت مناجاته دائما باعلان الفقر الى الله، و بالاعتراف: بالذنب، و بأنه لا غنى الا باذنه، و كان ذلك فى مواجهه ما زاع فى عصره من قيم تخالف روح الاسلام و جوهره. [صفحه ۸۳]

آداب سلوكيه

ناس لا يصلحون للصداقه

كان الامام رضى الله عنه خبيرا بأخلاق الناس خبره عميقه، عارفا بمن يصلحون للصداقه و من لا يصلحون. و لم يدع الى مقاطعه الناس و الهرب منهم كما دعا من بعده من الزهاد و العباد المصلحين، لأن الانسان لم يمكن بعد قد بلغ درجه من الشراسه فى الفساد ينبغى معها الحذر من الجميع كالحذر من السبع الضارى كما يقول ابراهيم بن أدهم. و قد اكتفى الامام زين العابدين بالتحذير من أنواع معينه من الناس: و أول الأنواع التى حذر من صحبتهم: الفاسق، و الفاسق هو الخارج عن دين الله، المجاهر بالعصيان، المستعذب له، و قد علل خطورته بأنه «يبيعك بأكله و أقل منها، يطمع فيها ثم لا يجدها». فالفاسق يتفق فى الأخلاق و الطبائع مع «المدمنين» و المتاجرين بالأعراض فى عصرنا الحاضر، و هذه الفئات كلها تصل الى حال من الانحلال الخلقى تفقد معه الشعور بحقوق الروابط العائليه و الاجتماعيه بل و الأبويه كذلك، لا يفكرون الا فى الشهوات المتسلطه، و الادمان الملح. و الفسوق بأنواعه الأخرى يتفق مع تلك الأنواع فى موت الضمير، و عدم الشعور بالمسئوليه و لا بالتزام، و لذلك كثيرا ما تطالعنا الصحف بالمعتدين على آبائهم أو

أمهاتهم أو اخواتهم فى سبيل امرأه، أو فى سبيل الحاح الادمان على مخدر، أو رغبه فى السلب و النهب. تلك خلائق الفاسقين دائما فى كل عصر تتركز فى سياده مذهب المنفعه الشخصيه و استباحه الوسائل اليها، ثم الغباء فى تقدير الظروف، حتى ليضحى الفاسق أولا بالروابط المقدسه طمعا فى سراب ثم لا يجده شيئا بعد ذلك. و ثانى الأنواع التى حذر زين العابدين من صحبتهم: الكاذب، و قد علل رداءه هذا النوع من الناس بأنه «كالسراب يقرب منك البعيد، و يباعد منك القريب». و الذين جربوا معاشره الكذابين يدركون مدى الاثاره التى تحدثها كذباتهم حينما [صفحه ۸۴] يقطعون شوطا كبيرا وراء السراب الذى يتراءى لهم منهم ثم لا يجدونه شيئا. كما أن تقريب البعيد و مباعده القريب فيها مضيعه للوقت فيما لا يجدى شيئا، لا فى الدنيا و لا فى الآخره. و ثالث الأنواع التى حذر منها هم: أهل الحمق، فقد قال لابنه: «و لا تصحب الأحمق، فانه يريد أن ينفعك فيضرك». و الأحمق هو: السخيف العقل الغبى، السى ء فى تصرفاته، و الضرر الذى يصيب صاحبه منه عن غير قصد معروف مشهور فى العلاقات الاجتماعيه للجميع. ولكن الجديد هنا: أنه لا يدرك هذه الأضرار الا ذكى ألمعى يفرق بين الأحمق و غير الأحمق، و أما مجتمع الحمقى فلا يكاد يبين بينهم حمق من ذكاء. و رابع الأنواع: قاطع الرحم، و يقول لابنه عنه: (فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الأرض و تقطعوا أرحامكم (۲۲) أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم و أعمى أبصارهم (۲۳))[محمد۲۲، ۲۳] فصحبه الملعون من الله حب لما كره الله، و مجلبه للعنه بهذا المخالفه الواضحه لمحاب الله، على أن قاطع الرحم

مع ذلک أسرع الی مقاطعه غیر ذوی الرحم، و أقرب الی التقلب و أبعد عن مبدأ النصح المقرر فی الاسلام کدلیل علی صدق الایمان.

لا تبالغ فی المدح

المدح فی ذاته أمر مکروه فی الاسلام الا ان کان صادقا، و کان الممدوح ممن قویت قلوبهم فلم یغرهم الثناء، و لم یخرجوا به عن دائره الاستقامه الی دائره العجب و الخیلاء. و هذا النوع القوی قلیل بین أهل الفضل، و لذلک کان واجبا أن تسد الذرائع فلا یلجأ الانسان الی مدح غیره حتی لا یفتح له بابا من الشر کان فی غنی عنه. و لقد أفاض الحارث بن أسد المحاسبی فی الحدیث عن أخطار المدح فی کتاب «الوصایا» و انتهی الی أنه قل من ینجو من عطب المدح، و قرر أنه لو استوی المادح و الذام فی نفس انسان فانه قد لا یسلم من شهوه خفیه تدفعه الی السرور بمجالسه المادح، و النفور من الذام رغم التسویه بینهما فی المعامله فی ظاهر الحال. و لقد أشار الرسول صلی الله علیه و سلم الی خطوره المدح علی قلوب السالکین الی الله فقال للمادح أخاه بظهر الغیب «قطعت ظهر أخیک». و قال فی مناسبه أخری: «لو سمعها ما أفلح». [صفحه ۸۵] و قال محذرا من المداحین: «احثوا فی وجوه المداحین التراب». فالمادح شیطان یبعث الغرور فی نفس الانسان، و الغرور باب من أبواب الفشل فی السلوک کما قال رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم. و زین العابدین رضی الله عنه قد لجأ الی وسیله بسیطه للتنفیر من المادح غیره بما لا یعلم من الخیر، المبالغ فی اضفاء خلال الصلاح علی صاحبه و قوام هذه الوسیله هو ما یلحق

الممدوح علی هذه الصـفه من ذم مقابل للمدح بما لا يعلم فی الممدوح من خلال الشـر. قال الامام: «لا يقول رجل فی رجل من الخير ما لا يعلم، الا أوشک أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم».

لا تصحب غيرک الا علی طاعه الله

الحب فی الله و الصـحبه فيه، و البغض لله و الفرقه من أجله هو السـلوک الاسلامی الصحيح، العائد بالخير علی الانسان، و المباعد له من الانحراف أو مظنه الانحراف. فالصـحبه لمآرب النفس، و لمصالـح الدنيا أمر ممقوت فی الدين و العرف علی السواء، فهذا النوع هو الوصولی الانتهازی الذی تنفر منه المجتمعات و تزدريه العيون و القلوب. و الصحبه علی المعصيه أشد مقتا عندالله، و لا حجه لمن يقول: أصـحب العصاه لآمرهم و أنهاهم، فالأمر و النهی قـد يكونان علی غير صـحبه و صداقه، و النفس سـريعه القبول للعـدوی، و المجاملات المألوفه بين العصاه عامل من عوامل لين القلوب بعضـها الی بعض، و من ثم يندمج الجميع فی المعصـيه علی وجه من الوجوه، اما بمقارنتها بالفعل، و اما بالسـكوت عن النهی، و اما باستلذاذها فی القلب، و کل ذلک تحول بالقلب عن وجهته التی شرعها له الله تعالی، اذ شرع الله تعالی للقلب أن يكون محلا لذكره، أو محلا للفكره الداعيه الی ساعه، أو المنفره من معصيه، أو الكاشفه عن عظمه الله فيزداد بها الايمان، أو الرافعه للحجب حتی يعاين الانسان مواعيد الله من الثواب أو العقاب علی وجه اليقين فيرجو أو يخاف. و تحذير من صـحبه العاصـين لأی سبب من أسباب الصحبه يقول الامام زين العابدين: «ما أصحاب اثنان علی معصيه الا أو شک أن يفترق علی غير طاعه».

من أدب العلماء

العلماء موازين الحق الموضوعه فی الأرض يهتـدی الناس بهـديهم فی ظلمات الفتن، [صـفحه ۸۶] و يتلمسون أعلام الطريق اذا حـاول طمسـها فرد أو جماعه ممن لهم مأرب فی التضـليل عن طريق الله. و صـلاح الأمه مرتبط أشـد الارتباط بصـلاح العلماء، و فسادها مرهون بفسادهم،

و قد قال السلف فى ذلك الكثير، و شبهوا العلماء بالرأس، و الرعيه بالجسد، فاذا فسد الرأس فسد الجسد، و شبهوهم أحيانا أخرى بالطبيب يعالج المرضى فاذا مرض الطبيب فمن يداويه؟ و من يداوى أولئك المرضى؟ و لقد ركز الامام زين العابدين آفه العلم فى: الاغراق فى الضحك، و فى كتمه عن الناس، و فى أخذ الأجر عليه أو استخدامه لنيل الوفد و العطاء. فقال: «من كتم علما، أو أخذ عليه أجرا، أو رفدا، فلا ينفعه أبدا». و قال: «من ضحك ضحكه مج من العلم مجه». فكتم العلم صد عن سبيل الله بالامتناع عن ارشاد الناس الى الطريق، و رضى بالباطل يسود فلا يسارع العلماء الى دفعه و العمل على سياده الحق عليه، و حجر على الناس أن يسارعوا الى عمل الخير بعدم بيانه لهم، و دعوتهم اليه، و محاوله خفيه لابتزاز الدنيا من الناس ببذل العلم حينما يكتمه العلماء، و يحتاج الناس اليه. و قد جرت سيره العلماء الفضلاء من السلف على اعتبار العلم و بذله و تعليمه للناس عملا واجبا من صميم النصح لله و لرسوله و لعامه المسلمين و خاصتهم بحجزهم عن الشر، و هدايتهم الى الخير، و اعتبروا معاشهم أمرا منفصلا عن العلم، يسعون اليه بوسائلهم الخاصه، و لا يتخذون من العلم وسيله لقضاء مصالح العلماء الدنيويه، و دفع الناس الى ارفاقهم بالعطاء. و قد كان الثورى يعمل تاجرا لكسب عيشه، و كان ابراهيم بن أدهم يعمل فى حصاد القمح و حراسه البساتين لنفس الهدف، و لا زالت أسماء عزيزه تطالعنا من التاريخ تكشف عن الحرف التى كان يزاولها العلماء لكسب عيشهم منفصله عن العلم، كأبى على الدقاق، و القواريرى، و القفال.

و كان الامام الأعظم أبوحنيفه تاجرا، و كذلك كان الشافعى شطرا من حياته، و كان ابن حنبل يعيش من غله عقار بسيط و على هذا ما فضلاء السلف جميعا بلا استثناء. ثم حدثت بدعه أخذ الأجره على تعليم العلم بعد زين العابدين واضحه، مما يدل على وجودها خفيه فى عصره، أو انها كانت مجرد رغبات تساور نفوس العلماء فى عصر كانت الماده تلعب دورا هاما فى افساد ضمائر الناس، و كان خلفاء بنى أميه فى حاجه الى [صفحه ۸۷] المال، و كان حياتهم يتعللون بهم فى جمع المال من غير وجوهه، و كان للعلماء نصيب لقاء فتاواهم التى تبيح هذا العمل الآثم. على أن أخذ الأجر على العلم الصحيح يزود العلماء بوسيله الفساد التى تدفهم فيما بعد الى أخد المال لاصدار فتاوى فاسده تخدم بعض الأغراض التى يريدها أولو الأمر أو المحبون للمال. و هكذا لاينتفع العالم الكاتم لعلمه و الآخذ عليه أجرا بعلمه، و من ثم لا ينفع به غيره، فقد أصبح علمه مدخولا، كما أصبح معبرا للفاسد يعبر على فتاواه المفسدون فى الأرض الى أهدافهم. و من هذا القول الذى أثر عن الامام زين العابدين يمكن أن نشك فى نسبه أبيات نسبت اليه تقول: انى لأكتم من علمى جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا و قد تقدم فى هذا أبوحسن الى الحسين و وصى قبله الحسنا يا رب جوهر علم لو أبرح به لقيل لى أنت ممن يعبد الوثنا و لا ستحل رجال مسلمون دمى يرون أقبح ما يزتونه حسنا فهو رجل صاحب رساله بسيطه الرغبه فى اعاده المسلمين الى سلوكهم الأول الذى كان عليه النبى صلى الله عليه و سلم و صحابته، و ليس

من هـذا المنهاج الاشاره الى غرائب العلم و جواهره التى تـدفع الى البلبه، و تغرى الناس باصـطناع السـريه التى عاش الامام حياته حربا عليها، فلم تكن من صنيعه يوما من الأيام. و هو لا يخشى ظهور الحق، و لا يخشى الفتنه من الحق، بل كان حياته كلها داعيا الى الحق، يبصـر به الجاهـل و العـالم، و انمـا ظهرت فكره الخوين على الجهـال من الفتنه بـالحق فى عصـر متأخر عن عصـر زين العابـدين، حينما تعمق الصوفيه فى نظرياتهم، و أغربوا فى الفتنه عليه فى عقيدته، و لم يكن ذلك من عناصـر فكر الامام السـجاد بحال. و هذه السـريه التى يخشاها قائل هذه الأبيات على العامه قد أشار اليها الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى - و من العجيب أنه لم يشك فى نسـبتها الى السجاد - حيث قال فى الفتوحات المكيه (١ / ٢٦٠) و نبه بقوله: يعبد الوثنا، على مقصوده من تأويل قـول النـبى صـلى الله عليه و سـلم: ان الله خلـق آدم على صـورته، باعـاده الضـمير على الله تعـالى، و هـو من [صـفحه ٨٨] بعض محتملاـته. و لقـد بنى الصوفيه على هـذه الأبيـات و على غيرهـا من الأـقوال المنسوبه الى أبى هريره و الامام على غالب نظريات التصوف، و سـنعرض لـذلك بالتفصـيل فى فصـل مسـتقل ان شـاء الله. و يرى الامـام زين العابـدين أن الضـحك للعلماء يـذهب بعلمهـم، و يجردهم منه رويـدا رويـدا مـا دام هنـاك اصـرار عليه فيقـول: «من ضـحك ضـحكه مـج من العلم مجه». و هـو يريد بالضحك القهقهه و الاغراق، و لا يريد به الابتسام الدال على الاعجاب، أو على شعور بالسرور، فقد كان الابتسام من صنيع النبى صلى الله عليه و سلم دون القهقهه

التی تکشف عن خفه فی الطبیعه، و طیش فی الشعور، و لیس ذلک من سمات العلماء و لا الأنبیاء. و انما کان ادمان الضحک وسیله لاستنزاف العلم لأن دواعیه غالبا ما تکون من خلائق أهل البطاله و السخریه، کما أن الاغراق لا یکون الا عن تفاعل عمیق مع هذا الباطل، و التفاعل العمیق مع الباطل الساخر یحد من الرغبه فی الفقه العمیق فی مسائل العلم التی لا تنمو الا فی جو فی الصمت و الفکر، و مجانبه البطاله، و القرب من درجه التبتل فی محراب العلم و المعرفه. فکل دفعه من الضحک تدفع معها قدرا من ملکه البحث العلمی الی خارج القلب، لتحل مکانها نظره عمیقه تهدف الی استکشاف ما فی حدیث أهل البطاله من الاضحاک. و اذا کانت دعوه زین العابدین للعلماء الی الجدیه فی الفکره، و الی هجران البطاله لم تکن قد اتخذت مکانها الحق فی عصره، فان هناک من استجاب لها من کل قلبه، و اندفع فی البکاء و التفکر فی الموت و فیما بعده کوسیله لاستبقاء هذا الشعر الجاد بمسئولیه العالم نحو علمه، و نحو صیانته من کل شبهه تخرجه عن قداسته، و عن رسالته فی هدایه الآخرین. و کان من مشاهیر البکائین فی عصر زین العابدین: الحسن البصری، و من بعده مالک ابن دینار، ثم سفیان الثوری و سائر زهاد الکوفه من بعد، مما أبقی علی جوهر السمت العلمی المراد من علماء الاسلام.

الفکر، و الاعتبار بالموت

کان علی بن الحسین اذا رآی الجنازه تمثل بالبیتین الآتیین: [صفحه ۸۹] نراع اذا الجنائز قابلتنا و نلهو حین تمضی ذاهبات کروعه ثله لمفار سبع فلما غاب عادت راتعات و هو یهدف من تمثله هذا الی نقد الوعی

الـدينی فی قلوب المسـلمین، اذ تخلو عن ادمـان الفكره فی الموت و ما بعـده، فلم یعـد الموت یسـیطر علی تفكیرهم الا لحظات عابره تكون عند لقاء الجنازه، ثم لا یلبثون أن تجترفهم الحیاه بزحامها و دواعیها فینسون ما كان یجب أن یذكر. و التذكر العمیق للموت و ما بعـده فرع من أصل «الفكر» الـذی دعا الیه الاسـلام كأدب سـلوكی له أثره البالغ فی تكوین شخصـیه رجل الحضاره الاسـلامیه و أخلاقه التی لا تتم صلاحیته لرسالته الا بها. لقد حث القرآن الكریم علی الفكره فی آیات كثیره فقال تعالی: (ان فی ذلك لآیات لقوم یتفكرون). و قال: (و یتفكرون فی خلق السـموات و الأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار (۱۹۱)[آل عمران:۱۹۱]. و كـان النبی صـلی الله علیه و سـلم و صـحابته أهل فكره یخلون الیها، و یتعمقون فیها، و یعتبرونها ذكرا خفیـا هو أجـدی بكثیر من الـذكر العلنی، لأنها من أعمال القلب التی لا یطلع علیها الملائكه الكاتبون، كما أنها من الأعمال التی یتولی الله تعـالی مكافأه العابـد علیها عطاء جزلا من معین الكرم الالهی الـذی لا ینضب له معین. و علی الفكره درج آل البیت، و تبعهم جمع كبیر تبنوهـا سـلوكا، و دعوا النـاس الیهـا، و أفردها المؤلفون القـدامی بأبواب مسـتقله فی كتبهم، كالحارث بن أسـد المحـاسبی فی «أعمـال القلوب و الجوارح»، و أبی طـالب المكی فی «قوت القلوب»، ثم الغزالی فی «الاحیـاء». و ممن عنی بهـا و بغیرهـا مـن عناصـر وعی الروح و دسـائس النفس فیـه: أبوالسـعود بن أبی العشـائر، و له أقـوال تسـتحق البحث فی كتب الـتراجم المختلفه. و قد حدد زین العابدین أثر الفكره فی بناء شخصیه المسلم فقال: «الفكره مرآه

المؤمن، یری فیها سیئاته و حسناته». أی انها المیزان الصادق الذی یزن به المؤمن نفسه نفسه، و یلمس مواطن الضعف فی أعماقه، و یحاول علی أثر ذلک أن یعود الی حال من التوازن النفسی فلا یجمح به غرور، [صفحه ۹۰] و لا ـ یقنطه خطأ. تلک کانت حاجه العصر فی زمن الامام، فقد جمح الغرور بالکثیرین من ذوی الخطر، فلم یروا لهم سیئه، و استفطموا مالهم من حسنات، و اختلط الأمر علی البعض فأصبح بعد الخطأ صوابا، و لا أدل علی ذلک کله من اعتقاد أولی الأمر سلامه مسلکهم فی سب الامام علی و ذریته علی المنابر. کما کانوا لا یریدون أن یقتربوا بأفکارهم من الموت و ما بعده الا لفترات قصیره عند شهود جنازه. و لم نعثر للامام السجاد علی منهاج للفکره فی أقواله یحدد معالم الطریق التی یسلکها العابد سوی: الفکره فی تدبر السیئات و الحسنات، و فی الموت. و هذا المنهاج شامل لکل ما استقصاه العلماء بعد السجاد من عناصر الفکره و فروعها، فکلها عائده الی هذین الأصلین اللذین حددهما زین العابدین فی ترکیز ینم عن عقلیه واعیه مرکزه و قلب ذکی یتقن تحذیر الأصول، و یکتفی بها عن التوسع فی الشرح و التفصیل. و لقد حدد الحارث المحاسبی عناصر الفکره فی «أعمال القلوب و الجوارح» فحصرها فی: «فکره فی عظمه الله تدعو الی التوحید، و فکره فیما یقرب الی الله من أعمال، و فکره تکشف نفاق النفس أو اعتدالها علی الطریق، و فکره فی الموت و ما بعده». و تلک کلها کما تری عائده الی الأصلین اللذین حددهما الامام لا یشذ عنهما لون من ألوان الفکره. هی المحاسبه للنفس أولا، و ذکر

الموت و تمثله ثانیا، و قد یکون ذکر الموت مقدما علی محاسبه النفس اذا اجحمت النفس عن مواجهه خطایاها ففرفت بصاحبها عن المحاسبه، فما من فکره تجدد ملکه المحاسبه فی النفس الا ذکر الموت الذی یعیدها ما بعده من هول و مواجهه الیهه، و محاکمه عادله الی المحاسبه التی تقوم بدورها الهام فی تعدیل سلوک الانسان. و مما هو جدیر بالذکر أن ابراهیم بن أدهم قد حمل لواء الدعوه الی الفکره من بعد الامام زین العابدین حتی جعلها رأس عبادته، أثیره لدیه علی طول القیام باللیل، و دعا الیها أصحابه و مریدیه، و نزع بها الی وعی صوفی جدید عبر عنه حینما سئل و هو خارج من الجیل: من أین أقبلت؟ فقال: «من الأنس بالله». [صفحه ۹۱]

مکانته فی التصوف

تبدأ أهمیه الامام علی بن الحسین فی التصوف من نقطه البدایه البارزه فی سلوکه و سمته حین اقامه الصلاه، و من تلک الرعده التی کانت تلم به بین وضوئه و صلاته، ثم من بکائه و زهده القلبی الذی لا یتجه نحو الظاهر، و غیر ذلک من المسالک التی عرضنا لها اثناء هذا البحث و التی انتهجها الصوفیه فی صوره زهد بسیط یتسلح بتلک لمواجید، ثم تبناها الصوفیه من بعد، و تعهدوها بالرعایه و النماء، و رسموا لها طریقا یتعهد غراسها فی الأجیال المستقبله علی مدی الأیام. و قد ظهرت أهمیه الامام السجاد بعد تنظیم التصوف فی طرائق و طقوس معینه: فقد دخل الی سند الخرقه حیث لبسها من أبیه الحسین، عن الامام علی عن رسول الله صلی الله علیه و سلم، و ألبسها هو لابنه محمد الباقر، و لبسها منه جعفر الصادق، و لبسها منه موسی بن

جعفر الكاظم، و لبسها منه على بن موسى الرضا، و ألبسها الرضا لمعروف الكرخى، و منه الى سرى السقطى، و منه الى الجنيد البغدادى الذى تنتهى الى طرائق التصوف و اسانيد الخرقه جميعا. و لذكر المراجع الشيعيه النزعه كما جاء فى طرائق الحقائق: أن الطريقه الحقه جرت بواسطه اربعه أولياء من المختصين بآل البيت، ثم انتشرت بين العباد و البلاء، و تذكر من لينها: السلسله الأدهميه، بواسطه سيد الساجدين على بن الحسين، و منه الى السطان ابراهيم بن أدهم. و اذا كان زين العابدين لم يترك لنا الا قليلا من الأقوال التى تمت الى السلوك الصوفى متأخر بالقربى فانما كان ذلك لعنايته البالغه بالسلوك العملى، و تصحيح القلب من مراضه العائقه عن قبول العمل و الاستفاده منه، و مع ذلك فقد تلقف الصوفيه كلماته من بعده، و تحدثوا بها على صوره أخرى لا تخرج عن معناها، و من أمثله ذلك قول الامام: «ان الجسد اذا لم يمرض أشر، و لا خير فى جسد يأشر». فقد اقتبسها و قال: «ان القلب اذا لم يحزن خرب». ولكن اهتمام الصوفيه بالنسبه للامام السجاد قد اتجه اتجاها عمليا كان و قوامه مواجيده العميقه التى كان يتلبس بها بين وضوءه و صلاته، و أدعيته و مناجاته المأثوره [صفحه ۹۲] عنه، و بكاؤه، و قوام ذلك كله أنه بقيه آل البيت النبوى الذى نجا من سيف الأمويين، و منه كانت سلاله النبى الطاهره و من أبناء عمه الحسن بن على رضى الله عنهم جميعا. كانت هناك حيره كما قلنا تساور المؤمنين وسط تلك العواصف التى أثارها بنوأميه باستثناء عمر بن عبدالعزيز، واتجه الكثير من الناس اتجاها ماديا، و أوشكت روحانيات الاسلام

أن تجنو جذوتها لولا أن تبناها الامام السجاد، فانتقلت منه الى أعيان العصر كالحسن البصرى و غيره ممن نقلوها بدورهم الى تلاميذهم حتى تبلورت فى سلوك مدروس منظم على أيدى الصوفيه. و كانت السمات التى دعا اليها زين العابدين تتلخص فى: ۱ - تجريد الباطن من حب الدنيا، و صرفها الى مستحقيها و الاكتفاء منها بالقليل. ۲ - اخفاء الأعمال، و الحرص على اخفاء الوجدان الدينى تفاديا للنفاق و الرياء. ۳ - الدعوه الى السلوك الدينى الأصيل فى مواجهه أى انحراف يطرأ على الناس فى أى عصر من العصور. و قد أحسن أخلاف الامام من طلابه و مريديه القيام عل مبادئه هذه، و كان هناك من اختاروا لأنفسهم من بمادئه الثلاثه هذه مبدأ الخفاء و مبدأ رعايه الوجدان، و أهملوا الدعوه فلجأوا الى الخلوات فى بطون الجبال و أعماق الصحارى فرارا بدينهم و بأنفسهم من زحمه الحياه و سحرها. ولكن ثلاثه ممن اتصلت حياتهم بعصر الامام كانوا أعلام هدايه على طريقه الذى رسمه قبل وفاته واضحا لاعوج فيه، و هم: ابراهيم بن أدهم، و سفيان الثورى، و مالك بن دينار. أما ابراهيم بن أدهم فقد ضرب المثل الأعلى فى التخلى عن الدنيا حين نزل عن الاماره و عن ثرائه العريض، و عاش حصار بسيطا، أو حارسا للبساتين، و يعيش من عمل يده و يتحاشى أن تكون عليه مؤنه لأحد بالغه ما بلغت، ثم أضاف الى منهج الامام تجريد ظاهره هو الآخر من كل ما يمت الى حب الدنيا، و كان ذلك حتما حين اختلط أهل التجريد الباطن بالمدعين للصلاح، المتخذين من دعوى تجريد الباطن وسيله للغش و الخداع، لا سيما و أن فاخر اللباس كان قد

اشتهر و أصبح مظهرا لعامه الناس من التجار و طلاب المال. و طور ابن أدهم كذلك مبدأ الايثار و الصدقات الخفيه، فجعلها ايثارا بالجهد [صفحه ۹۳] الشخصى اذا كان يطحن بيده للأرامل و العجزه و يعين الضعفاء على العمل و يدع لهم أجورهم. وجهر بمعارضته للسلوك المفرق فى حب الدنيا، و وجه معارضته للحكام و الأغنياء فى أسلوب مقنع، فسمى الحكام «الملوك» و سمى الأغنياء «المساكين». و كان فى كل ذلك من كبار أهل الوجدان الذين اختاروا الفكره أساسا و منبعا له لا يفيض على قلوبهم الا منها. و أما سفيان الثورى الذى كان معاصر الابن أدهم و صديقا له فقد أعلن ثورته على أجهزه الحكم، و لقى من ثورته هذه المتاعب القاسيه، اذ أصبح مطلوبا لشرطه الخليفه لا يستقر فى مكان حتى يرحل عنه فرارا بدعوته، حتى كان موته فى البصره مختفيا فى دار أبى منصور السليمى. ولكنه لم ينزع نحو مسلك ابن أدهم فى الجوع الشديد، و تدريب الطلاب على الحرب، بل كان الى جانب تجريد الظاهر من اللباس الفاخر، و الاكتفاء بالقليل الرخيص منه لا يحث على الحرمان من طيبات الحياه، بل يحث على التقلل من هذه الطيبات، و كان هو الآخر بكاء متفكرا يؤرقه الفكر فيما بعد الموت فيفزع فى جنح الظلام باكيا فزعا من هول ما عاين و أيقن. أما مالك بن دينار فقد كان واعظا خرج بالزهد من عزلته الى عالم الظهور، فوق أنه تبنى دعوه سياسيه صريحه قوامها ترهيب الطغاه من الحكام، و تذكيرهم بما ينتظرهم من عسير الحساب. و هكذا كانت سيره زين العابدين جزءا هاما من مكونات الشخصيه لهؤلاء الأبطال الثلاثه، و كانوا خير خلف لخير سلف، أخلصوا دينهم

لله، و دعوا الى وجهيه المادى و الروحى، و لم يخلطوا أفكار الاسلام الأصليه بالفكر الدخيل الذى كان له أسوأ الأثر فيما بعد على الفكر الصوفى الذى كانت مهمته الرئيسيه هى: نقل الاسلام صريحا واضحا خاليا من كل زيع، و الأخذ بأيدى الملايين الى الله فى تضامن و تآزر يؤكد روح الحضاره الاسلاميه، و يسعى لاستراد مكانتها فى قمه التاريخ. ولكن التوازن قد اختل فيما بعد بين مواهب الروح و مواهب العقل، فتطور السلوك الصوفى الى نظريات كان لها فعل السحر بين العامه و الخاصه، فشدت انتباه الجميع على وجه التقريب، حتى أصبح التصوف نظريا أكثر منه سلوكيا، و خمدت جذوه الدعوه الى الاصلاح الاجتماعى، و علل هؤلاء النظريون أنفسهم بالمهدى المنتظر، و بالحكومات الباطنيه التى تقوم بدلا منهم بالعزل و التوليه حسبما تقتضيه ظروف دوله الاسلام. [صفحه ۹۴] كان شأن السلوك شأن كل مظهر من مظاهر دوله الاسلام يسير فى طريق من طريقين: اما طريق التطرف و الغلو، و اما طريق التفريط و الاهمال. و كان خط السلوك من هذين الطريقين هو التفريط فى العمل، و التطرف فى النظريات. و قد حاول بعض المتأخرين من الصوفيه أن يصرف أنظار الباحثين عن استناد طريق التصوف فى زين العابدين بواسطه ابراهيم بن أدهم فجعلوها تستند الى جعفر الصادق، أو الى على بن موسى الرضا، و من العجيب أن تكون سلسله الطريق من أبى يزيد البسطامى عن جعفر الصادق فى بعض الأسانيد، مع استحاله لقائهما، اذ توفى الصادق عام۱۴۸ و توفى أبويزيد البسطامى عام. ۲۶۱ و أحيانا جعلوا السند عن معروف الكرخى عن على بن موسى بن جعفر الصادق. و هو كما ترى محاوله لصرف الأنظار عن سند ابراهيم

بن أدهم عن زين العابدين، لأن هذا السند الأخير لا يدع فرصه للتطرف و لا للتخاذل فى أى شأن من شئون السلوک و الوجدان، كما أنه محاوله للجنوح الى أسانيد أفرط رجالها فى الكلام عن المواجيد و كانوا صادقين فى حديثهم، ولكنهم استندوا اليهم كوسيله لايجاد مبرر للكلام فى المقامات و الأحوال، لا يجدونه لا عند ابن أدهم، و لا عند زين العابدين. لقد كان زين العابدين هو المرجع الأول للصوفيه المتأخرين، و كان هو الرأس العلوى الزهد الاسلامى الأصيل، و للوجدان الاسلامى العميق، الذى لم يفتح بابا للكلام، من حيث فتح الأبواب كلها للعمل. و لئن كان من أحفاده من أثر عنه حديث متطرف فى علوم الحرف، و علوم الباطن فان المرجع و المقياس هو زين العابدين وحده، و ما كان هذا التطرف فى أسرار الحروف الا لخدمه أهداف شيعيه رآى الصوفيه أن يأخذوا بها فى سلوكهم و نظرياتهم، و يسيرون فى نفس الطريق الى آخره. و لنأخذ لذلک مثلاـ مسأله الصحبه. فالصحبه مبدأ اسلامى أصيل يقضى بوجوب التجمع بين الفئات الصالحه لله و فى الله، كما يقضى تبعا لذلک بهجران الفئات الفاسده، و قد رأينا زين العابدين يرسم الخطوط العريضه لمبدأ الصحبه، و يحذر من بعض الناس، و يحدد الصلات الواجبه بين المؤمن و أخيه و بينه و بين مجتمعه كله. فالصحبه فى الله هى الشعيره الاسلاميه الأصيله، و قوامها الأصيل الذى حدده الاسلام هو: التعاون على مرضاه الله، و على البعد عن مكارهه، أى هى: الأمر و النهى و النصح. [صفحه ۹۵] و تلک هى صحبه الأكفاء المتناظرين فى المنزله و المكانه، ولكن هناک صحبه اسلاميه أصليه أخرى هى: صحبه الانسان لمن فوقه علما و عملا، و

تقتضـی هذه الصـحبه من المتبوع: الشفقه و الرحمه و لنصح، و من التابع الوفاق و حفظ الحرمه و حسن الاستماع و الطاعه فیما لا معصـیه فیه. و کان الشیوخ بعد زین العابدین من أمثال الثوری و ابن أدهم و داود الطائی و غیرهم یؤکدون مبدأ النصح و الشفقه علی الاتباع، و لا یتخذون لأنفسـهم مقاما فوق مقاماتهم، و لا یحیطون أنفسـهم بالأسـرار و الأحاجی، و کان الوضوح هو البدء و النهـایه فی السـلوک و الارشاد، و کان التواضع من الشـیوخ، و الحب من الطلاب، و التقلیـد للشـیوخ فی کل میادین العمل سـمه لازمه للجمیع لم یشـذ عنهـا شـیخ الا ما کان من داود الطائی الـذی کان مضـربا عن الاجتماع بالناس، فکانوا ینتظرونه أیاما حتی یتمکنوا من لقائه، و کان هذا الاعتزال من داود ناشـئا من اغراقه فی الاستجماع الفردی، و خوفه علی نفس من انتفاعل مع الناس، و لم یکن ناشـئا عن اصـطناع أسرار، أو دعوی مقام معین من مقامات السلوک التی نشأت من بعد ذلک. و من عجیب أمر الناس فی نهـایه القرن الأـول الهجری: أنهم کـانوا أشـد اسـتماعا لکل ما هو سـری أسـطوری من المعارف و العلوم منهم الی الاسـتماع للأوامر الصریحه الصادره فی الکتاب و السنه للجمیع بالعلم و العمل، و عدم الاندفاع وراء الأسرار، و التشدق و التفیهق، فقد أکد القرآن الکریم أنه (لا ـ خیر فی کثیر من نجواهم الا من أمر بصـدقه أو معروف أو اصـلاح بین الناس (۱۱۴))[النساء:۱۱۴]. ولکن العجب ینقضـی أو یکاد ینقضی اذا تلمسنا الأسباب الکامنه وراء هذا الفتور من جهه، و وراء الاندفاع وراء الأسرار، و المضی فی تیارها المتطرف، فوجدنا أن الشعب الاسلامی کان قد أصیب فی

ذلـك القرن بثلاـثه من المشاعر أملتها ظروف سياسـيه هى: ١- النـدم على التفريـط فى نصـره الامام على و آل بيته. ٢- و الحب الكـامن لله و رسـول و آل بيته. ٣- و الشـعور بالاضـطهاد و الذل عقب اعلان زيد بن أسـلم بعد قتل الامام الحسـين رأيه الصادق حين قـال: «قتلتم ابن بنت رسول الله صـلى الله عليه و سـلم، و أمرتم ابن مرجـانه، أنتم والله العبيـد بعـد اليوم». و أعلن ما سيقاسـيه المؤمنون من اضـطهاد حين قرر أن بنى أميه سيقتلون خيار الناس، و يستذلون شرارهم. و ليس بعد ذلك ذل لاحق بأمه كان قوام [صفحه ٩٦] دسـتورها الأـمر و النهى، و بهمـا اسـتحقت أن تكون خير أمه أخرجت للناس. كان النـدم عاملا من عوامل العزله و الأنفراديه الوجوم و الهم اللاحق، كما كان الشـعور بالاضـطهاد عاملا من عوامل الاحجام عن مواجهه الحقيقه، و باعثا من بواعث اهمال الأمر و النهى، و ترك العامه فوضـى لا سـراه لهم، و لا مر شد يحجبهم عن الخرافه، و التعلق بالخيال و الأوهام كبديل عن الحريه التى افتقـدوها، و عن غره الاسـلام الممنوحه للعاملين. و كان الحب الى ذلك كله يـذكى جـذوه التطلع الى تعبير عنه، لم يكن التعبير عنه كامنا فى تقليـد المحبوب و السير بقـدر ما كان اغراقا فى اضـفاء الأسـرار عليه، و التطرف فى هذا الاغراق. كان هنـاك حب دون شـك، و كـان هنـاك تطلع دون شك، و لم تكن هناك عزيمه تعين على العمل دون شك، و لم يجـد العامه متنفسا الا فى فكره تجـديه الاسـلام التى نادى بها أبوهاشم عبـدالله بن محمد بن الحنفيه (ت٩٧) المعاصـر لعمه زين العابدين، و الذى شرد عن تعاليم أبيه و

أعلن رأيا كانت له خطورته فی مجال التصوف. خرج أبوهاشم هذا و هو علوی غیر فاطمی – علی المسلمین بنظریه رواها ابن سعد فی طبقاته، و ابن خلدون فی العبر، و روتها کتب النحل الاسلامیه قال فیها موجها کلامه الی محمد بن علی بن عبدالله بن عباس: «لم یمض مائه سنه من نبوه قط الا انتهت أمورها، لقوله عزوجل: (أو کالذی مر علی قریه و هی خاویه علی عروشها قال أنی یحیی هذه الله بعد موتها فأماته الله مائه عام ثم بعثه)[البقره:۲۵۹]فاذا دخلت سنه مائه فابعث رسلک و دعاتک، فان الله متمم أمرک». و قد تلقف الصوفیه هذه النظریه فأسبغوا علی شیوخهم صفه تجدید الدین، و لقب الکثیر منهم بمجدد الدین، أو مجدد المائه، و لم یقتصر الأمر علی ذلک، بل تعداه الصوفیه الی اقتباس أفکار أبی هاشم هذا التی تدعی أن لکل ظاهر باطنا، و لکل شخص روحا، و لکل تنزیل، تأویلا، و لکل مثال فی العالم حقیقه،و المنتشر فی الآفاق من الحکم و الأسرار مجتمع فی الشخص الانسانی، و هو العلم الذی استأثر به علی علیه السلام، ثم ابنه محمد بن الحنفیه، ثم أفضی بذلک السر الی ابنه أبی هاشم، و کل من اجتمع فیه هذا العلم فهو الامام حقا، و علی ضوء هذه النظریه أسبغ الصوفیه علی الشیوخ صفه الاستئثار بالعلم اللدنی، و علم الأسرار الالهی، حتی عد الشعرانی منها ما ینوف من [صفحه ۹۷] عشره آلاف علم. و مضی أبوهاشم فی خروجه عن نطاق المنهاج الذی رسمه آل البیت النبوی فأشار علی محمد بن علی بن عبدالله بن عباس الذی یتفق معه فی مقاومه الأمویین: أن یختار دعاته فلیکونوا اثنی عشر نقیبا، فان الله لم

يصلح بنى اسرائيل الا بهم، و سبعين نفرا يتلونهم، فان النبى انما اتخذ اثنى عشر نقيبا من الأنصار اتباعا لذلك. و هكذا أصبح شيوخ التصوف ممتازين عن سواهم بالعلم السرى، و بصلاحيتهم للاجتهاد فى تجديد الدين، و بحريتهم فى اضفاء الألقاب على المريدين، و من ثم أصاب نظام الصحبه الاسلامى تغيير جوهرى تطور فيما بعد الى نوع من الافراط و الغلو. و لم يكن لهذا التطور أصل فى سلوك زين العابدين و معاصريه من أبناء عمه الحسن، و كانت الحاله النفسيه الناشئه من تداخل الشعور بالندم و الاضطهاد و الحب عاملا رئيسيا فى اندفاع الكثيرين من رجال التصوف نحو الشطط ما دام لهم مستند فى تجديد الاسلام و العلم السرى. و كان هذا الشطط هو الذى دعا الحارث ابن أسد المحاسبى الى مهاجمه الصوفيه فى عصره و اتهامهم بالكذب فى دعوى الحب، اذا أنهم لا يلتفتون الى سلوك المحبوب، و لا يكلفون أنفسم عناء تقليده فى العمل الذى يعتبر الدليل الأول و الأخير على صدق دعوى الحب. كما رماهم فى كثير من المواضع من كتابه «آداب النفوس»، و «أعمال القلوب و الجوارح» بأن فيهم غلطه وجهلا بالأخبار. و يبدو أن فكره الانتقال من مكان الى آخر فى لمح البصر، و فكره رؤيه الملائكه و مخاطبتهم كانت قد برزت فى عصر المحاسبى، لأنا نراه يهاجمها هجوما عنيفا فى كتابه آداب النفوس. و وجد الصوفيه فى هذا الميدان الجديد بديلا من المجاهدات الشاقه فأمعنوا فى دعوى الأسرار حتى أن بعضهم كان يصلى فى الكعبه و هو بعيد عنها بآلاف الأميال، و يعود فى نفس الليله على الصوره التى بنى عليها المحاسبى هجومه العنيف على القائلين بها. و نحن لا نحجر

على فضل الله بانكار الأسرار، و انما نقول: ان اذاعتها على هذه الصوره فتح باب الدعوى على مصراعيه، فادعى الكذابون ما ادعى الشيوخ، و اختلط الصادق بالمنافق و له فى دعوى السريه حصن حصين. و اضطرب نظام الصحبه الذى يعتبر أساس التصوف كما يعتبر أساس الحياه الاجتماعيه فى الاسلام، حتى لقد روى عن ذى النون المصرى أنه قال: «ليس مريد ألبته [صفحه ٩٨] من لم يكن أطوع لأستاذه من ربه». كما روى التشيرى عن الأستاذ أبى على الدقاق أنه كان يتساءل: «هل يحتمل أن يكون مقام النبى الذى يبعثه الله فوق مقام شيخه؟». ولكن السهروردى فصل فى هذه القضيه بما يقرب من الصواب، و بما يكشف عن حقيقه هامه فى مسأله الصحبه و امتزاج الأرواح و تلاقها فقال فى عوارف المعارف، العوارف: «اذا دخل المريد الصادق تحت حكم الشيخ و صحبه، و تأدب بآدابه، يسرى من باطن الشيخ حال الى باطن المريد، كسراج يقتبس من سراج. و كلام الشيخ يلقح باطن المريد، و يكون مقام الشيخ مستودع الحال، و ينتقل من الشيخ الى المريد بواسطه الصحبه و سماع المقال». و الواقع أن هذا الذى يذكر السهروردى صحيح، ولكن اتخاذه أصلا للسلوك، و الاقامه عليه، و العنايه بالحال السارى من الصاحب الأعلى مقاما الى الصاحب الأدنى، و عدم استخدام هذا الحال فى الاستزاده من العمل هو الخطر الداهم الذى جاء به هذا الاتجاه الجديد فى وقت لم يكن الناس بحاجه اليه بقدر ما كانوا بحاجه الى العمل البسيط الخالى من التعقيد. و لقد كان الصحابه أنفسهم يحسون هذا الحال السارى اليهم من النبى صلى الله عليه و سلم، و كانوا ينكرون أنفسهم حينما يفارقون مجلسه الى

أعمـالهم المعاشـيه، و كانوا يتعهـدون هـذا الحال فيهم، ولكن لم يؤثر عنهم أنهم أتخـذوه موضوعا للحـديث، و أساسا للبحث و الفحص يطغى على العمل الذى كرسوا حياتهم من أجله. و كانوا يبكون، و كانوا يشهدون الغرائب حين تلاوتهم للقرآن، و حين الصـلاه، ولكنهم لم يتخـذوا من ذلـك الوجـدان و لا ـ من تلك الغرائب موضوعا لأحاديثهم، كما لم يحاولوا الانـدفاع وراءها، و انتظارها، و لا قياس أنفسـهم بورودها. كانت حضارتهم صاعـده، و كانت أعمالم كلها مكله بالنجاح، و مع ذلك لم يقعـدوا عن العمـل، و لم يثرثروا بالأـحوال و المقامـات، و لم يحيـدوا عن منهـاج العمـل المرسوم الـذى نقله المحـاسبى فى أعمال القلوب و الجوارح مرتبا حسن أهميته عنـدهم، فجعل معرفه الله تعالى فى الدرجه الأولى، و تتبعها اقامه الصـلاه، ثم ارفاق بعضـهم بعضا، و السـعى على الأرامـل و المسـاكين مـن اخـوانهم. فهـل كـان المسـلمون بحـاجه الى ترديـد الحـديث عن المقامـات و الأـحوال و حضارتهم تتـدهور عن قمتها فى سـرعه، و الوعى الـدينى يكاد يمحى من القلوب، و الـدنيا بقتل، [صـفحه ۹۹] و القلوب تنعقد على حبها؟ و لا نعتقـد أن يقول بهـذا أحـد، ولكن الذى كان المسـلمون بحاجه اليه هو احياء السـنه، و التزام الكتاب، و العكوف على هذين الأصـلين لا يتعدوهما الى ما سواهما، و الاحتفاظ بالمواجيد و المشاعر التى سميت فيما بعد بالأحوال لا يذيعها انسان لأـخيه، و لاـ يتخـذ منها مقياسا لنفسه و لا لغيره. ولكن الله تعالى أراد بحكمته أن يتم الشوط الى نهايه لحكمه تربويه عليا هى أن يتم اقتناع المسلم بفساد هذه الطريقه من داخل نفسه، حينما يرى النتيجه العمليه لاهمال العمل، و العدول عنه الى النظريات. و

مما يوسف له أن يتطور هذا السلوك الى ثرثره لا يحيد عنها مريدوا طريق التصوف فى روايه الكرامات و الأسرار و دعوى الصدق، و اسباغ القطبيه على الشيوخ، و الشيوخ بدروهم فى كثير من الأحوال ينفعلون لهذه الألقاب و كان ما كان من انحراف الطريق الصوفى عن جادته الأولى التى رسمها آل البيت، ولكنهم الآن بدأ يفتحون عيونهم على تركه منحوسه من الهوان فى العصر الحاضر، فبدوا بحمدالله فى تنقيه الطريق من الأشواك، و تيسيره للسالكين سنيانبويا يعود الى ما كان عليه النبى صلى الله عليه و سلم و صحابته وال بيته، و من هنا كانت أهميه احياء سيره آل البيت النبوى، لتكون نبراسا ينير الطريق للسالكين على الحق بعد انقضاء التجربه التى لم يكن عنها محيص، و التى كانت لها بركات فاضت من الله عالى شأنه فى كل نعمه و فى كل بليه.
وايه تلك البركات التى تمخضت عنها بليه التحول النظرى من المنهج العملى ظهور دراسات نفسيه عميقه فى ميدان السلوك الصوفى لا يستغنى عنها رجال الحضاره الجديده فى عودتهم الى منهاجهم الأول. لقد جد التابعون لآل البيت فى استقصاء علل النفوس و القلوب الداعيه الى التخاذل فى العمل، أو الى الخروج به عن طريقه الصحيح فدونوها فى صوره وصايا أو فى صوره موازين فارقه بين حق العمل و باطله من الوجهه القلبيه، واهتدوا فى وصاياهم و موازينهم بالسنه النبويه و بالقرآن و بما أثر عن الصحابه وال البيت، و عنى بتلك الدراسات البادئه كثيرون من السلف منهم: الحسن البصرى، و مالك بن دينار، و الثورى، و ابن أدهم، و غيرهم كثيرون امتازوا بالدقه فى الفقه، و العمق فى كشف خفايا النفوس و تقلباتها.

ثم جاء أستاذ الدراسات النفسيه الاسلاميه الحارث بن أسد المحاسبی فجعل لآفات [صفحه ۱۰۰] النفوس و القلوب أبوابا مستقله تعهدها بالبحث و الاستقصاء و العمق، كما حدد معالم العمل الصحيح و مقوماته فی أبواب مستقله كذلك، و كانت بحوثه هذه بدايه دراسات نفسيه منظمه تعنی بالتحليل، و الخوض وراء أعماق النفس، و تتبع حركاتها و أساليب خداعها لصاحبها، فأصبح للسلوك عده علميه؛ كما كان للعمل عده شرعيه تعنی بالشروط و الأركان و تصحيحه من الوجهه الشكليه. و تلك البحوث و الدراسات و ظهورها علی هذه الصوره من العمق و الثراء دليل علی أن هذا التحول الذی حدث بعد عصر الراشدين كان أمرا طبيعيا، اذ أن المذاهب العظمی لا تمضی فی طريقها المراد لها الا بعد أن يصيبها اضطراب و زلزال بادی ء الأمر. لقد أصاب الناس فی حمل الشريعه نفس الأضطراب و الزلزال ممثلا فی الرده التی حدثت بعد وفاه النبی صلی الله عليه و سلم، و أصاب الناس اضطراب و زلزال فی السلوك بعد عصر الراشدين و بعد عصر زين العابدين بالذات باعتباره آخر الأئمه الملتزمين بمنهج العمل دون منهج الكلام. و كان لزلزال الشريعه رادع هو السيف، و لم يكن لزلزال السلوك رادع سوی الزمن و التجربه المره التی خاضها المسلمون الی وقتنا هذا. فالسلوك و آقامه أمور قلبيه ليس للسيف عليها سلطان. كان الزلزال الذی أشار القرآن الكريم الی ضروره اصابه المؤمنين به لتمحيص ايمانهم دليلا علی جسامه شأن الايمان و الاخلاص و علوهما عن ادعاء المدعين، فدخل الناس تجربه طويله تمخضت عن دراسات و موازين نفسيه هامه كان لابد منها فی عصرنا الحاضر لاثبات غنی الاسلام عن دراسات النفس المستورده التی لا

زال الناس يتعلقون بها، بينما لم يحاول عالم من علماء المسلمين أن يجمع ما تناثر من تلك الدراسات فى كتاب مستقل يكون ماده لبحوث اسلاميه بحته، اللهم الا ـ ما حاوله الأستاذ العلامه مصطفى بن كمال الدين البكرى فى كتابه المخطوط «العرائس القدسيه المفصحه عن الدسائس النفسيه». و هكذا تكمن النعمه فى البليه فى النعمه، و «عسى أن تكرهوا شيئا و هو خير لكم، و عسى أن تحبوا شيئا و هو شر لكم». فما يظنه بعض الناس شرا من اهمال مناهج آل البيت، و المضى فى المناهج النظريه كان خير بظهور الدراسات النفسيه الاسلاميه البحته، حتى تكون العوده على أسس سليمه من موازين الاسلام الخالصه. [صفحه ۱۰۱]

وفاته

لقد كان استعداد الامام للموت و وصيته فيما يصنع به بعد موته أصلا هاما من أصول السلوك يمكن أن يكون أصلا هاما من أصول السلوك يمكن أن يكون أصلا لا يحيد عنه الانسان. فقد أوصى فى روايه ابن سعد: «ألا يؤذن بموته أحد، و أن يكفن فى قطن، و أن يجعل فى حنوطه مسك، و أن يسرع به المشى». فعدم الايذان بموته ايثار منه للخمول، و مجانبه منه للشهره، و اغلاق لباب الغلو الذى كان قد انفتح و يوشك أن يشمل القيم الاسلاميه كلها. فاذا كان جده الأعلى صلى الله عليه و سلم يحب أن يؤذن اذا مات أحد الأصحاب، و يحب أن يجتمع الناس على جنازته انتهازا للثواب، و رجاء نفع الميت بدعاء اخوانه و صلاتهم عليه، فانما كان ذلك و الغلو مغلق الأبواب، و الخير مقبل، و الشر مدبر. أما زين العابدين فقد كان بصيرا بعصره، خبيرا بمسالك الفتن فيه، فآثر أن يجتهد برأيه و يؤثر خمول الذكر

على شـهره الموت التى قـد تكون بابا من أبواب الشـر لم يشأ أن يسـهم فى فتحه، و قـد انفتـح بالفعل بعـده فيما نرى من دعاوى العامه عند موت عالم أو ولى من أولياء الله تعالى. و كانت وفاه الامام فى سـنه أربع و تسـعين، فى أولها عن ثمان و خمسين سنه. فى سـنه الفقهاء. التى اشـتهرت بهذا الاسم لكثره من مات من الفقهاء فيها، كسـعيد بن جبير و سـعيد بن المسيب و غيرهم. و قال أبونعيم الفضل بن دكين: توفى سنه اثنتين و تسعين. و قال بعضهم: سنه ثلاث و تسعين، و أغرب المدائنى فقال انه مات سنه تسع و تسـعين. و الأول هو المشـهور. و لما وضع الامام ليصـلى عليه، اجتمع اليه الناس من كل فج ليشـهدوه، و بقى سعيد بن المسيب وحده فى المسـجد. فقال له: خشرم: ألا تشهد هذا الرجل الصالح فى البيت الصالح؟ فقال سعيد: أصلى ركعتين أحب الى من أن أشـهد هذا الرجل الصالح فى البيت الصالح. و يبدو أن الناس قد ظنوا أن ابن المسـيب يؤثر صلاه التطوع على شهود الجنازه، لأن [صفحه ۱۰۲] سليمان بن يسار خرج الى الجنازه فصلى على الامام، و تبعه و هو يقول: «شهود الجنازه أحب من صلاه التطوع». و الحق أن ايثـار ابن المسـيب للصـلاه لم يكن ناشـئا عن جفاء للامام، و لا عن تفضـيل لصـلاه التطوع على شـهود الجنازه، لأن ابن المسـيب كـان فيما يغلب على الظن قـد أحس دنو أجله، و عاين النهايه المحتومه، لأنه مات بعـد الامام بقليل، و للمؤمن دلائل و علامات ترهص بانتهاء أجله نعرفها من كثير ممن لم يبلغوا درجه ابن المسيب. و لذلک وحده آثر أن يضاعف جهده فى

الاستعداد للقاء الله تعالى، و أن يكون ما بقى من عمره من أيام معدوده عملا متواصلا لله تعالى رجاء أن يكون له منه رحمه أو طريق الى رحمه الله تعالى. أما أن يكون ابن المسيب جافيا للامام فلا. فهو يعرف قدر الامام و يدرك منزلته من النبى صلى الله عليه و سلم، و مكانه من الورع. فقد قال له رجل: ما رأيت أورع من فلان. فقال سعيد: هل رأيت على بن الحسين؟ قال: لا. قال سعيد: ما رأيت أورع منه. و كان دفن الامام بالبقيع. و ليس فى ضريحه الموجود فى مسجده بالقاهره. فهو ضريح رمزى رضى الله عنه، و قيل: ان فيه زيد بن على بن الحسين. والله أعلم. تم كتاب الامام السجاد على زين العابدين الحمدلله اشراف محمد بن على بن يوسف مكتبه القاهره الأزهر ٥٩٠٥٩٠٩ ص. ب.:٩٤٦ العتبه

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١۴٢۶ الهجري في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوي تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولیة العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها علی ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب علی موقع القائمية ويمكن تحميلها علی الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.


مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩